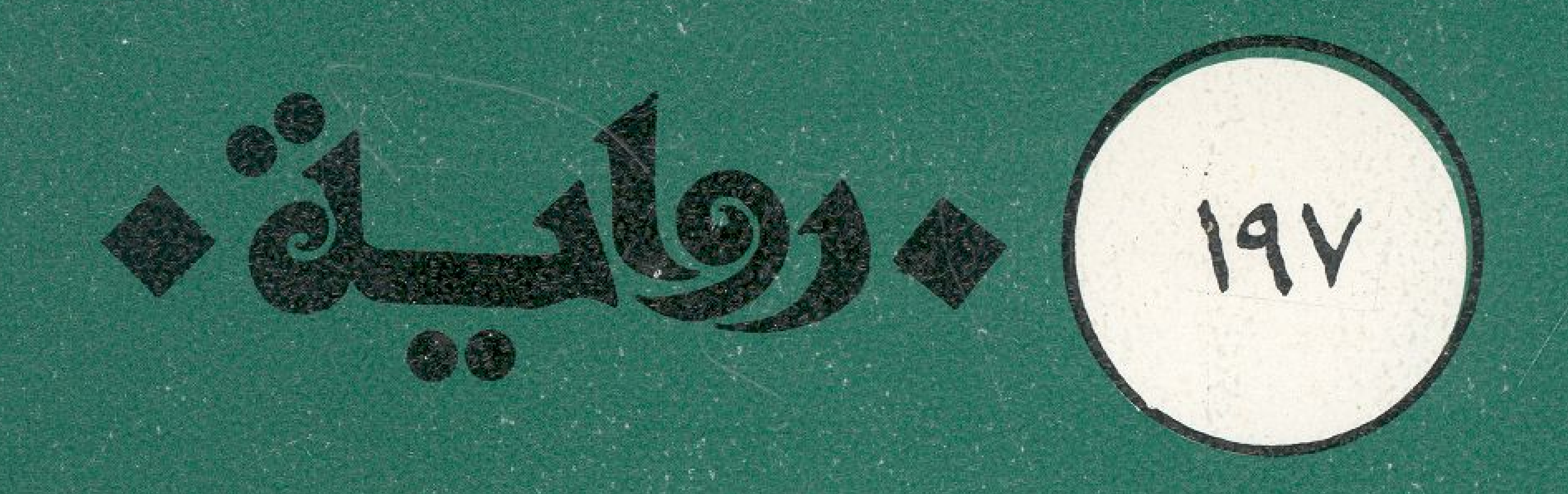
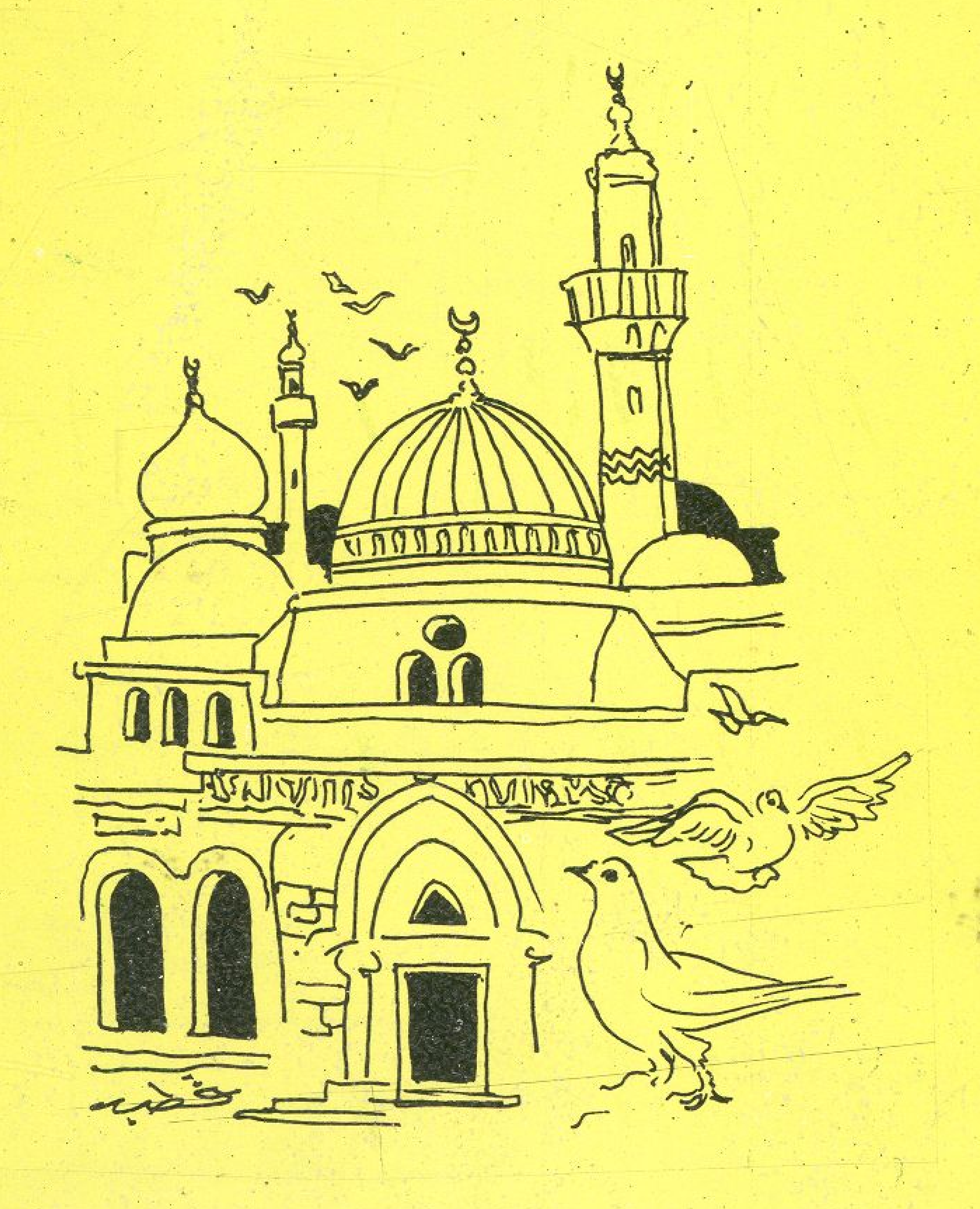


سيرة الإمام.. عابد بن عبد السلام

صفوت عوض





١٥ أغسطس ١٩٩٥



إشراقات أدبية

(نصف شهرية)

رئيس التحرير:

عبد العال الحمامصي

نائب رئيس التحرير:

محمود العزب

مدير التحرير:

أحمد الحوفي

الإخراج الفني:

محمد قطب

رئيس مجلس الإدارة:

د. سمير سرحان

تصدر عن:

الهيئة المصرية العامة للكتاب

كورنيش النيل - رملة بولاق - القاهرة

إشراقات أدبية

١٩٧

روايـــة

سيرة الإمام ..
عابد بن عبد السّلام

صفوت عوض

بقلم

محمد قطب



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

الفصـــــل الأول

— ١ —

... قيل : شرب من البحر وهو نائم ..!

... وقالوا : بل مسه شـــــيطان من الجن ونفخ فيه من روحه .. !

... كان اذا خرج يتريض فى جانب الوادى المؤدى الى القرية تفر الضوارى .. ويأنس اليه المستضعفون من الأغنام ..!

.. وعندما يعن له أن يسبح فى المنحنى الخطر من النهر .. لاذت الأفاعى القاتلة بجحورها .. وراحت التماسيح تلتمس لها مكانا آخر يأويها .. !

.. عندما كان فى الثانية عشرة من عمره أدار الســـــاقية بذراعيه ..

.. ولما أشرف على السادسة عشـــرة حمل حجر الطاحون بيدين من فولاذ ..

.. وكان فى التاسعة عشرة عندما رفع الثور الذى أطاح برجال القرية على كتفيه بعد أن أطبق على رقبته وخر الثور الجبار صريعا .. !

* * *

.. تضاربت الأقوال عن نشأته .. فمن قائل .. التقطه بعض السيارة من قاع البئر المهجورة فى مدخل القرية .. وآخر يقول : وجدوه رضيعا فى حراسة الأفاعى والعقارب بعد أن قذف به النهر الى شاطئه .. وثالث يقسم أنه هبط به السيل من قمة الجبل الى بطن الوادى .. ووجد طافيا على لوح من أخشاب لا وجود لها فى تلك المناطق .. !

.. كفله ورباه الشيخ عبد السلام .. وكان وحيدا بلا زوجة أو ولد .. تقيا ورعا .. زاهدا فى زخرف الدنيا .. أصابه ما أصابه من نقمة الحياة فراح يروم الآخرة .. ماتت زوجه بعد مرض لم يستغرق الا ساعات ثم رأى ان يقترن بأخرى تؤنس وحدته وتهب له البنين .. ولم يمض على زواجه سوى شهور حتى فرت هاربة مع أحد عماله .. ولزم داره ولم يكد يفارقه .. الى أن أتاه نبأ العثور عليها قتيلة .. وقد امتنع أهلها عن دفنها . فأبى الا أن يواريها التراب كما أمر الله .. وعاد الى الحياة بقلب دام .. وطلعة يكسوها الحزن والأسى .. وأقسم الا تطأ بيته امرأة بعد اليوم .. !

.. عندما احتضن الرضيع احس الشيخ عبد السلام بتيار من السكينة يغمره لم يألفه من قبل .. واجتذبته عينا الرضيع الباسمتان .. فلم يستطع لعينيه تحويلا .. وتواصل الحوار بينهما طويلا .. شائقا .. لا يقطعه الا رمشة عين أو ارتداد طرف ..

حتى خشى على الرضيع وعلى نفسه ممن حوله اذا أخبرهم أن الرضيع يحاوره .. فضمه الى صدره وقد سربله بعباءته .. معلنا للقوم أنه سيتكفل بالطفل الى ما شاء الله .. ثم هرول ميمما شطر داره وكأنما قد ذهل عما حوله .. !

— ٢ —

.. أرقده فى فراشه برفق وهو يهمس :

ـــ لقد عوضنى الله خيرا .. ولن تكون الا عابدا لله .. ومن رجال الله الأخيار !

.. صمت برهة كأنما ليعطى الرضيع فرصة لاستيعاب ما قال .. ثم عاد يقول :

ـــ انت من اليوم عابد .. عابد بن عبد السلام .. ومن أجلك سأحنث بقسمى .. وليغفر الله لى .. فأنت فى حاجة الى من تطعمك وترعاك .. !

* * *

وضع الرجل فنجانه بعد أن رشف آخر قطرة وهو يقول :

ـــ جئتك حالما أخبرنى رسولك .. ما الأمر ؟!

قال الشيخ عبد السلام :

ـــ بارك الله فيك يا أبا حمزة .. اجدنى مضطرا لمعونتك !

مال أبو حمزة بجذعه الى الأمام فى اهتمام قائلا :

ـــ أصدقنى القول يارجل .. ماذا الم بك .. ؟

همس الشيخ :

ــ أنا فى حاجة الى امرأة صالحة يا أبا حمزة ! ..

ضحك الرجل فى حبور ثم قال فى خبث :

ــ آه .. قل هذا اذن .. ! .. مللت الوحدة والنوءة الخشنة ..

قال الشيخ عبد السلام :

ــ لا تسىء الظن بى يا أبا حمزة .. المرأة ليست لى .. !

تساءل الرجل فى دهشة مقرونة بالانكار :

ــ ليست لك ؟! لمن اذن ؟!

اشار الشيخ الى الطفل الراقد فى الفراش :

ــ لعـــابد .. !

عاد الرجل يتساءل :

ــ عابد ؟! .. ثم تنبه فجأة : ــ آه .. هذا .. الـــ ....

قاطعه الشيخ فى حزم :

ــ لا تكمل .. ! هذا ولدى .. عابد بن عبد السلام ! ..

تمتم الرجل فى وجوم :

ــ نعم .. نعم .. هذا مفهوم .. !

عاد الشيخ يقول :

ــ انه فى حاجة الى من تطعمه وترعاه ..

قال ابو حمزة :

ـــ مفهوم .. مفهوم .. ولكن ..

أدرك الرجل ما يدور فى ذهنه فقال :

ـــ أريدها نهارا .. ولتتركه لى ليلا ..

ـــ ٣ ـــ

عندما فرغ الشيخ من صلاته وتهيأ لاحتساء قهوته سمع طرقات خفيفة على باب حجرته فقال :

ـــ تعالى ياحميدة .. !

دخلت حميدة فى خطى وانية وهمست : سيدى .. !

قال الشيخ وهو يرفع الفنجان الى شفتيه :

ـــ ما بك يا حميدة ؟!

أجابت : ـــ ليس بى شىء ياسيدى .. ولكن عابدا ...

اهتز الفنجان بيد أصابعه وهو يهتف جزعا :

ـــ ماذا أصابه ؟!

فطنت المرأة الى جزع الشيخ فأسرعت تقول :

ـــ عابد بخير ياسيدى .. ولكنه يأبى الذهاب الى الشيخ الدكرورى ! ..

هدأ روع الشيخ قليلا ثم قال :

ـــ آتنى به .. !

.. تقدم عابد من مجلس الشيخ فقبل رأسه ويده وجلس بين يديه .. بينما مال الشـــــيخ الى الامام حتى لامس جبين الطفل بشفتيه وهو يهمس :

ـ بارك الله فيك ياولدى ..

على حين قال عابد :

ـ وأمد الله فى عمرك يا أبى .. !

صمت الشيخ مليا وهو يتفحص الطفل الماثل أمامه فى حب واعزاز .. وراح يجول ببصره فى هذا الوجه الذى لم ير له مثيلا .. ثم داعب شعره الأسود الكثيف قائلا :

ـ لم لا تريد الذهاب الى شيخك ؟!

قال عابد :

ـ لا حاجة بى للذهاب الى الشيخ الدكرورى .. !

ـ هل أساء اليك ؟!

ـ ليس هو يا أبى .. انهم أبناء الزهايرة .. !

قال الشيخ :

ـ لا حاجة لنا بالزهايرة أو غيرهم .. نحن فى حالنا وهم فى حالهم ..

قال عابد فى عبوس :

ـ هم الذين تحرشوا بـ ى.. سبونى وسبوا أمى !!

صـــــمت الطفـــل برهة وعاد يقول وقد ترقرق الدمع فى عينيه :

ـــ أحقا أن أمى زانية ؟!

هتف الشيخ عبد السلام وقد أصيب فى مقتل :

ـــ لعنة الله عليهم أجمعين !

ثم فى غضبة هائلة :

ـــ والله لأوردنهم موارد التهلكة هم وأهلوهم جميعا .. !

واحتضن الطفل بقوة وهو يقول فى صوت متهدج :

ـــ لا تأس يا ولدى .. رحم الله أمك رحمة واسعة .. ان من كانت أمه لمثلك لهى من أشرف خلق الله ياولدى .. !

ثم قال وقد اغرورقت عيناه :

ـــ ولكن عليك ياولدى أن تقاوم الغضب الشيطانى بالصبر والصلاة .. كما عاهدتنى ..

همس الطفل :

ـــ انا على عهدى معك يا أبى .. !

عاد الشيخ يقول :

ـــ لا تدع قوى الشر تنفذ الى قلبك الطاهر يا ولدى ..

ثم وهو يحتضن وجهه بين كفيه :

ـــ أتعى ما أقول يا عابد ؟!

أجاب عابد : ـــ بلى يا أبى

تقدمت حميدة تكفكف دموعها هامسة : هيا بنا يا ولدى .. !

.. عندما غيبهما الباب رفع الشيخ كفيه الى السماء هاتفا فى لوعة :

ـــ اللهم اكفه شر قوته وجبروت نفسه ! ..

— ٤ —

كان ابراهيم الزهيرى عائدا الى داره فى موكبه المألوف .. يسبقه صليل أجراس الكارتة الذهبية حين فوجىء بالشـــاب العملاق يعترض طريقه مماحدا بالفرس الأشهب بالجفول والتقهقر فى عنف .. أمسك عابد بمقود الفرس وجذبه بشدة ثم مسح بكفه على غرته حتى هدأ واستكان .. على حين أسرع الفرسان الذين يتابعون سيدهم بالالتفاف حول عابد وقد شرعوا سياطهم .. ! كان المشهد مثيرا .. وبدت المعركة غير المتكافئة وشيكة .. بين العملاق الذى لا يحمل سوى عصاه .. وفرسان مدججين بالسلاح والسياط ..

فى لحظات كان رجال القرية قد التفوا حول الموكب .. شـــارعين عصيهم وفئوســـهم .. فى أيديهم المعروقة .. وقد لاحت وجوههم الجامدة وكأنما نحتت من الصخر بسمرتها الداكنة .. ونظرات القهر تتحين أية بادرة من فرسان الطاغية ..

احس الزهيرى بحـــرج موقفه .. ورغم قوة الســـلاح التى تحوطه الا انه مع نظرات الشاب العملاق التى تلهب وجهه أدرك كم هو ضعيف .. أشار الى الفرسان بالتراجع .. ثم قال فى صوت حاول أن يكون قويا :

ــ ما خطبك يابن.. عبد السلام ؟! ..

ــ الحق !! ..

عبس الرجل قائلا :

ــ أى حق ؟! لا حق لك عندى ! ..

ــ دار الشيخ مسعود وأرضه التى اغتصبها رجالك ! ..

صاح الزهيرى محنقا :

ـــ وما شأنك والشيخ مسعود ؟!

أجاب عابد فى ثبات :

ـــ هو شأنى وكفى ..

عاد الزهيرى يصيح مغاضبا :

ـــ خل عن طريقى .. !

لم يهتز عابد .. وشـــــدد قبضته على المقود حتى انحنى الفرس برأسه تحت وطأة الجذب ثم قال :

ـــ الدار والأرض .. تذهب فى سلام ! ..

.. بدا وجه الطاغية محتقنا بشدة .. وتصبب العرق غزيرا وخانه صوته وهو يقول لرجاله فى استسلام :

ـــ أعطوه ما يبغى .. !

وعندما أطلق العنان لفرسه كان عابد يأخذ بيد الشـــــيخ مسعود ثم مخاطبا الرجال :

ـــ هلموا .. فلنعد دار الشـــيخ مســـــعود الى ما كانت عليه .. !

ـــ ٥ ـــ

صاح الزهيرى بصوت كالرعد :

ـــ يا ويلى منكم .. أى حماقات ؟!

نكس الرجال رءوسهم امام غضبة أبيهم على حين عاد الرجل يزأر :

ـ أما شبعتم ارضا ودورا ؟!

بقى الابناء على صمتهم .. بينما واصـــــل الزهيرى حديثه قائلا :

ـ ضاعت هيبتى أو كادت أمام الرعاع ! ..

هتف أحد الأبناء فجأة :

ـ نقتل عابدا .. !

قطب الزهيرى جبينه ونظر الى ابنه .. ثم كمن يحـــــدث نفســـــه :

ـ نقتل عابدا ؟!!

غرق فى التفكير للحظات قبل أن يقول :

ـ فـــــكرة لاباس بها .. ولـــكن علينا تدارس الأمر مع الأصهار ..

ثم لأحد ابنائه :

ـ اذهب اليهم .. وادعوهم للقائى الليلة .. !

ـ ٦ ـ

هتف أحد الشباب فى حماس :

ـ حياته لا تساوى ثمن رصاصة ! ..

نظر اليه العجوز الذى يناهز الثمانين وقال فى سخرية :

ـ هراء .. حياته تعادل حياتكم وأهلكم جميعا ! ..

نظر الرجال اليه فى تساؤل على حين عاود العجوز حديثه :

ـــ القتل فكرة خرقاء .. وعابد ليس وحده .. !

انبرى الشاب ثانية يقول :

ـــ نقتل معه الشيخ عبد السلام ! ..

هز العجوز راسه فى ازدراء وهو يقول :

ـــ الم أقل لكم ؟! هذا زمان الحمقى والأغبياء .. ماقصدتث الى هذا عابد وراءه الآف الاجراء والجوعى .. ولن تفلح بنادقكم فى صدهم لو قتلتم عابدا ..

قال ابراهيم الزهيرى :

ـــ اذن خبرنا ماذا نفعل ..

قال الشيخ فى سخرية لاذعة :

ـــ ويحك يابن الزهيرى .. وهبك الله الأرض والمال والسلطان .. وسلبك العقل !! ..

تكدر الزهيرى لمقولة العجوز منكسا راسه على حين قال الشيخ القانى :

ـــ ضمه اليك !!

ـــ ٧ ـــ

قال الشيخ عبد السلام :

ـــ ماذا فعلت ياولدى ؟!

ـــ ما يمليه على دينى ! ..

عاد الشيخ يقول فى تأثر :

ـــ الرجل هيبته .. وبطشه .. !

قال عابد فى ايمان وثقة :

ـــ وللحق سلطان يا أبى .. !

بهت الشيخ بمنطق الشاب فقال فى تسليم :

ـــ صدقت ياولدى ! ..

ـ ٨ ـ

بعد قضاء الصلاة .. هم عابد بالخروج من المسجد عندما فوجىء بالرجل يتقدم عليه مادا يده بالسلام وتعلو وجهه بسمة عريضة :

قال الزهيرى فى نبرة ودودة :

ـــ لعن الله نزق الابناء .. كاد يوردنى مواقع الظلم ..

اجاب عابد باسما :

ـــ لا عليك ياسيدى .. لسنا بعصمة من الخطأ ..

عاد الزهيرى يقول :

ـــ أحمد الله أن قيض لى من يعيدنى الى جادة الصواب ..

همس عابد فى تأثر من موقف الرجل :

ـــ أنت رجل كريم حقا .. !

نظر الزهيرى الى عابد فى اعجاب غير خفى وهو يقول :

ـــ وأنت شاب شجاع ! ..

كانت دار ابراهيم الزهيرى أشبه بالقصر الريفى .. مقامة على أرض تبلغ مساحتها ما يزيد على الفدانين .. تتوسط حديقة مترامية الأطراف يتحوطها سياج من أشجار السنط والنخيل .. وفى تلك الساعة من الصباح كان ابراهيم الزهيرى قد فرغ لتوه فى تناول فطوره الدسم .. وراح يشد أنفاسا متلاحقة من نارجيلته وهو متكىء فى استرخاء فى شرفة السلاملك الرحبة .. وزاد من استرخائه رائحة التمباك المحترق المزوجة شذى الياسمين الفواح المنبعث من أشجاره المحيطة بالشرفة ..

وبينما كانت كبرى زوجاته تشاركه فى تعفير الجو بدخان سجائرها كانت زوجته الثانية منهمكة فى اعداد القهوة .. بينما راحت آخر زوجاته فى انتقاء قطع الفحم الملتهبة واستبدالها بمكان ما انطفأ لتبقى النارجيلة مشتعلة ..

* * *

كان ابراهيم الزهيرى فى الخمسين من عمره .. ينطق وجهه المستدير السمين المشرب بالحمرة بالرفاهية والرخاء .. متوسط الطول مع بدانة غير ملحوظة تحت جلبابه الفضفاض تزيده رهبة واحتراما .. تزوج اولى زوجاته وهو دون العشرين ... وأنجبت له ذكرين وثلاث أناث .. وفى الخامسة والثلاثين تزوج الثانية لأسباب سياسية .. ! رغبة منه فى زيادة أملاكه وامتداد سلطانه .. ونال من الدنيا كفايته بعد أن أنجبت له الثانية ذكرين وأنثى .. وعندما شعر بادبار الشباب وبالملل يتسلل الى قلبه فاجأ القرية بزيجة ثالثة . وجىء بالعروس الشابة الفاتنة فى موكب يليق بجمالها يتحلق الموكب كوكبة من فرسان عائلتها المشهورة بالسطوة والجبروت .. وكان عرس تناقلت أخباره القرية والقرى المجاورة لشهور عديدة ..

ورغم استياء الزوجتين والأبناء الا أن أحدا لم يجرؤ على اعلان استيائه .. وان أعلنت الزوجة الأولى عدم رضائها بقولها لابنائها الرجال :

ــ لقد خاب أبوكم على كبر ! ..

وبدا الابناء فى حيرة .. بين سخط النساء وخوفهم من اغضاب الرجل وفقدهم الحظوة لديه .. وهو ما كان يبدو أهم كثيرا من ارضاء النسوة .. وتجلى ذلك بوضوح فى الوضع الجديد الذى نشأ عن تلك المصاهرة .. كان لهم الأرض والمال وأصبح لهم السلطان والقوة .. مما جعلهم يمتدحون حكمة الرجل وذكائه وهو ما دعا الرجل الى أن يقول لهم مفاخرا :

ــ ما عاد ينقصكم شىء .. لكم الأرض والمال والسلطان .. وها أنتم تملكون الأرض ومن عليها .. فلا تسمعوا لتلك العجوز المخرفة .. افعلوا ما شئتم ودعونى أتمتع بعروسى فى هدوء .. !

* * *

اشار الزهيرى لزوجاته بالانصراف عندما لمح عابدا يظهر من منحنى المشى المفضى الى السلاملك .. ثم اعتدل فى جلسته مستقبلا الشاب بابتسامة ..

جلس عابد قبالة الرجل على حين قال الزهيرى :

ــ كيف حال الشيخ عبد السلام ؟! ..

أجاب عابد :

ــ بخير والحمد لله .. ويقرؤك السلام ..

ثم بعد لحظات من الصمت :

ـ انبانى والدى أنك تريدنى ..

قاطعه الزهيرى متبسما فى ود :

ـ لا تكن عجولا .. لتشرب القهوة أولا .. مازال الوقت ممتدا أمامنا ..

دخلت (جهاد) زوجته الثالثة بالقهوة .. فبدا الانزعاج على وجهه هاتفا :

ـ عدمنا الخدم حتى تأتينا أنت بالقهوة ؟!!

ثم مستدركا :

ـ عابد ليس غريبا .. ولكن الأصول أصول .. !

عاد يقول وهو يصب القهوة بعد خروج الزوجة :

ـ يالهؤلاء الملاعين .. تأويهم وتطعمهم هم وأهلوهم وعندما تدعو أحدهم لا تجدهم .. !

ران الصمت فترة احتساء القهوة .. حتى قطعه الزهيرى بقوله :

ـ علمت أنك تجيد القراءة والكتابة ..

قال عـــابد :

ـ حفظت القرآن والحمد لله .. واقرأ واكتب ..

قاطعه الزهيرى :

ـ ولك باع طويل فى الحساب ..

قال عـــابد :

ـ اجل ياسيدى ..

همس الزهيرى :

ـ ماشاء الله .. قراءة وكتابة .. وحساب ..

ثم لنفسه :

ـ وقوة أربعين رجلا .. ولا تملك قوت يومك ! ..

افاق ابراهيم الزهيرى من تأملاته على نظرة عابد الفاحصة المتسائلة فقال :

ـ لقد إخترتك يا عابد لتكون ساعدى الأيمن فى ادارة املاكى .. !

تساءل عابد فى دهشة !

ـ انا ياسيدى ؟!

اجاب الرجل : بلى يا عابد ! ..

عاد عابد يقول :

ـ ولكن .. بارك الله فى ابنائك يا سيدى .. وابنائهم أيضا .. ثم هناك اصهارك يملأون الأرض .. فلا حاجة لك بى .. !

ضمت ابراهيم الزهيرى قليلا وعاد يقول :

ـ انا فى حاجة لمن كان له مثل عقلك وحكمتك .. وايضا حزمك .. و .. وحب الناس لك .. ان أبنائى لا يعرفون سوى القوة والبطش فى تعاملهم مع الفلاحين ..

همس عابد :

ـ أعرف ياسيدى .. !

تساءل الرجل في كدر وان حاول اخفاء ما يعتمل في نفسه :

ـــ ماذا تعرف يا عابد ؟!

سدد عابد بصره الى الرجل في ثبات وهو يقول :

ـــ اعرف أن ابناءك يبطشون بلا رحمة ..

عاد الرجل يتساءل :

ـــ وماذا أيضا ؟

قال عابد في نبرة قوية :

ـــ العدل فوق القوة ياسيدى .. !

.. بدا وجه الرجل كمن ينذر بالشر وهو يقول بصوت حاول أن يكون هادئا :

ـــ ماذا تقصد ؟!

اجاب عـــابد :

ـــ لقد سألتنى وأجبتك .. !

احتقن وجه الرجل ولم يتمالك نفسه نصاح :

ـــ انى املك الأرض ومن عليها .. ما اشاء يكون .. وما أريده رهن اشارتى .. !

هب عابد واقفا وقد تملكه غضب مفاجىء .. وبدا منتصبا كالعملاق وهدر صوته يرج جدران السلاملك :

ـــ أنت لا تملك لنفسك شيئا .. وما تشاء الا أن يشاء الله . وقد قلت لك .. أن العدل والرحمة فوق القوة .. !

واستدار على عقبيه لا يلوى على شىء .. والغضـــب يعصف بجوانحه .. ولم يدر بنفسه الا وهو يشـرف على البئر القديمة في مدخل القرية .. !

تهاوت (جهاد) على الأريكة وهى تشـــــعر أن قلبها يكاد يخترق صدرها .. تسارعت أنفاسها وقد وضعت كفها على فيها كأنما تحبس آهة تكاد تفلت منها رغما عنها ..

بالرغم من قصر تلك اللحظات التى لمحته فيها وهى تقدم القهوة .. الا أنها أحســـت بها بطول الدهر .. وتملكت نظرته العابرة من فؤادها واستقرت فى قلبها لا تبرحه ..

هو عابد اذن .. وما يشاع عنه .. ولكن رباه .. له سمت غريب .. وحضـــــور يملأ الأثير .. وعلى رقة حالة يعبق الدار والبستان بأريج لم اتنسمه من قبل .. حديثه الهامس يملأ الأسماع وكأنما يأتى من كل أركان الدنيا وصــــوته الهادر بالغضب يمتلك الأفئدة ويأسرها .. لقد أفزع الزهيرى الذى ينحنى له كل الرجال .. وكل الجباه .. انه حقا عابد الذى يصادق الضوارى ..

... لم تنتبه لزوجها وهو يحملق فيها حتى صاح :

— ما بك يا امرأة ؟! ..

أفاقت على صيحته فى ذعر وهو يقول :

— أجننت ؟! .. تحادثين نفسك ؟!

رمقته باستنكار وكأنما تراه للمرة الأولى .. وعندما استلقى بجوارها نفذت رائحته الى أنفها فتملكها النفور والتقزز .. وشعرت بالغثيان وهو يمد يده السمينة يعبث بجسدها فتكورت مبتعدة عنه وهتفت فى حدة وبلا شعور :

— دعنى !!

.. بهت الرجل لثوان قبل أن يقول لاهثا :

ــ ماذا ؟! .. ما بك الليلة يا جباد ؟

حاولت أن تتمالك نفسها هامسة :

ــ لا شيء .. متعبة بعض الشيء .. !

ران الصمت على الحجرة .. قبل أن يقطعه شخير الرجل الراقد بجوارها على حين تمثلت لها تلك النظرة العابرة فاشتعل قلبها وهى تهتف لنفسها ملتاعة :

ــ ما كان لى أن أكون لغـــيرك يا عـــابد .. ولن تكون لسواى ! ..

ــ ١١ ــ

ــ جاء الرجل معتذرا ..

ــ لست بغاضب يا أبى ..

فقال الزهيرى فى رقة واغراء :

ــ ولك عندى البيت .. والزوجة ! ..

رفض عابد المنحة فى لباقة وأدب وهو يقول :

ــ يفعل الله ما يشاء .. لك على الطاعة والولاء ! ..

فك الرجل كفيه فى حبور هاتفا :

ــ هكذا .. آن لى أن أستريح ! ..

— ١٢ —

قالت الجارية :

ـ أبلغته ياسيدتى .. !

همست جهاد فى صوت متهدج :

ـ وبم أجاب ؟!

ـ لم يجب ياسيدتى .. !

بدت بوادر الغضب الشيطانى تكسو الملامح الفاتنة ..

ـ ماذا تعنين ؟! افصحى ..

اجابت الجارية :

ـ قلت له سيدتى تريدك لبعض شـأنها .. زلزلتنى نظرته وهو يقول لى أذهبى يا امرأة لحال سبيلك .. !

اشارت لها بالخروج هامسة : دعينى الآن ! ..

— ١٣ —

ارسلت شعرها فى ليونة .. وراحت تمشطه باصابعها وهى ترمق الرجل الذى يلتهمها بنظراته ثم قالت :

ـ عزمت على السفر لزيارة امى ..

قال فى استكانة :

ـ الم تكن فى زيارتك الشهر الماضى ..

ـ بلى .. ولكنى اريد السفر اليها ..

اقترب منها فى تردد قائلا :

ـ لنؤجل الحديث الى الغد ..

هتفت في حدة :

ـــ الآن .. !

غاص الطاغية في اعماقه أمام الشيطان الفاتن وهمس في اذعان :

ـــ لك ما شئت .. ولكن بالله عليك لا تغضبي .. !

راحت تدغدغ رقبته المكتنزة باناملها بينما تقول :

ـــ مر الرجال لاعداد الزيارة .. !

هز رأسه ايجابا .. على حين استمرت وهي تقترب منه في انسياب الأفعى :

ـــ سترافقني جاريتان .. وخمسة رجال للحراسة .. !

نفذ العطر الى خياشيمه فأغمض عينيه هامسا :

ـــ أجـــــل .. !

وعندما لامست صدره بنهديها أيقنت أنها تمكنت منه فقالت :

ـــ وعابد .. يقود الركب ! ..

ولما حاول الاعتراض اطبقت على شفتيه وأجهضت الكلمات في اعماقه .. !

ــ ١٤ ــ

افضى الى الشيخ بمخاوفه .. استعاذ الرجل بالله قائلا :

ـــ لعلك واهم ؟!

ـــ ما يغيب عني غدر المرأة يا أبي ! ..

ـــ كن بعيدا عنها ما استطعت .. !

ـــ هذا ما أنتويته يا أبي ..

ثمّ قال الشيخ بعد لحظات من الصمت القلق :

ـــ وليكن فى صلاتك ما تقى به نفسك شر الفتنة .. !

ثم همس كمن يحدث نفسه :

ـــ الطريق طويل .. والشيطانة فاتنة .. وفيك ما يفتن النساء ! ..

تساءل عـــابد :

ـــ تحدثنى يا أبى ؟!

قال الشيخ وهو يربت على كتفه :

ـــ هذا قدرك يا ولدى .. الله يبتليك بقـــوتك وجمالك .. والأمر لله .. !

— ١٥ —

.. كان النهار قد انتصف عندما اقترب أحد الرجال قائلا :

ـــ سيدتى تأمرك بالتوقف لتنال قسطا من الراحة .. !

كان الركب قد أشرف على أحد الوديان .. فانطلق عابد بفرسه الى جانب الطريق الصاعد لأعلى ليتخير أنســـب مكان لاناخة الركب .. ثم أشار اليهم ليتبعوه ..

أرشد الرجال الى بقعة ظليلة لجلوس السيدة وجاريتها .. وبينما جلسوا لتناول بعض الطعام قام عابد للصلاة .. ثم اتجه الى ربوة عالية تشرف على الصحراء الممتدة وجلس شـــاخصا ببصره الى التقاء الأفق برمال الصحراء ..

.. التفت على وقع أقدام خفيفة تقترب .. نهض مستقبلا الجارية قائلا :

ـــ لم تركت سيدتك ؟!

ـــ أرسلتنى اليك ..

ـــ ماذا تريد ؟!

ـــ سلها بنفسك ..

جلست جهاد ترمق العملاق الماثل أمامها شاخصا ببصره الى لا شىء .. أحست بغريزة الأنثى أنه يتحاشى النظر الى عينيها .. راحت تجول بناظريها فى قسمات وجهه فى انتشاء وتلذذ قبل أن تقول :

ـــ الا تجلس ؟!

أجاب فى ثبات ودون النظر اليها ..

ـــ علينا مواصلة الرحلة .. مازال الطريق طويلا .. !

قالت فى عذوبة :

ـــ تخشى مجالسة النساء ..

نفذ الصوت الرخيم الى أعماقه .. وحاول أن يتماسك وهو يقول :

ـــ يجب أن نعبر هذا الوادى قبل ولوج الليل ! ..

عادت تقول بحرارة نفذت الى أوصاله :

ـــ لا أخشى العالم .. مادمت بجوارى .. !

حول نظره اليها حتى التقت النظرات .. أشاح بوجهه لاعنا هذا الضعف الذى تسلل الى قلبه وهو يقول :

ـــ ليل الصحراء لا أمان له ..

قالت وقلبها يكاد ينفجر بين ضلوعها :

ـ سنقضى الليل هنا ..

هتف بانزعاج :

ـ كلا .. !

عادت تقول :

ـ مر الرجال باقامة الخيام .. ولتكن قريبا منى .. !

قال هامسا فى حيرة :

ـ ولكن كيف ؟!

قاطعته فى عناد :

ـ لن أبرح مكانى حتى الصباح !! ..

ـ ١٦ ـ

ـ عـــابد .. !

شعر وكأنما تلك الهمسة الناعمة قد دوت فى أعماق الليل فمزقت سكون الصحراء المميت .. هب واقفا محاولا أن يستر صدره العارى بذراعيه بينما وقفت جهاد على بعد ذراع منه وقد انســدلت جدائلها على صـــدرها النافر تحت الغلالة الحريرية الشفافة .. أحس بفتنتها الطاغية .. وقد أحالت الصحراء الى جحيم يصطخب بالرغبة الجهنمية ..

هتف بلا وعى :

ـ جهاد .. عودى الى فراشك .. !

تموج صدرها وهى تميل بجذعها الى الامام وومضت عيناها كعين قطة .. لم تأبه لوعيده وتقدمت منه فى ليونة .. عاد يقول محذرا وقد بدا الغضب فى أساريره :

ــ قلت لك عودى الى فراشك والا حملتك عنوة .. !

عادت تهمس مسحورة :

ــ عابد .. ما كان لى ان اكون لغيرك ..

ثم وهى تلقى بنفسها فى أحضانه .. وشفتاها المحمومتان تطوفان على صدره فى جنون :

ــ ولن تكن لسواى .. أبدا ..

.. تفجر الغضب الشيطانى .. وارتفعت كفه وهوت كالمطرقة على الوجه الجميل .. ترنح الجسد بشدة .. ثم هوى على الأرض بلا حراك ..

مرت لحظات وهو ينظر الى الجسد المسجى تحت قدميه بلا وعى .. انحنى يتحسس وجهها ورأسها .. هاله ملمس السائل اللزج الدافىء الذى ينهمر من جانب فيها ..

وقبل أن يفيق كانت صرخات الجارية الفزعة تشق سكون الصحراء .. !

ــ ١٧ ــ

... بدت البلدة وكأنها ترقد على فوهة بركان .. !

تحدى ابراهيم الزهيرى الشرطة وقام بدفن الزوجة دون انتظار لتحقيق .. وقام على قبرها بين الآلاف الذين توافدوا للعزاء مناديا بالثأر بلا رحمة من قاتل الزوجة الشهيدة .. بينما راح الفرسان يجوبون الانحاء فى بحث محموم عن مغتصب الزوجة وقاتلها .. !!

.. انقسمت البلدة على نفسها .. فريق ينادى بالقصاص .. وفريق يطلب التريث حتى يقبض على عابد ويحاكم .. !

صرخ الطاغية :

ــ دافعت المسكينة عن شرفها فقتلها الآثم الفاجر ..

أليس لقيطا ابن زانية ؟!!

هتف الاتباع بصوت كالرعد ابتلع معه أصوات العقلاء ..

وانطلق الشر من عقاله وراح يكتسح الدور والزراعات .. بينما وقف الشيخ عبد السلام يهتف فى لوعة :

ــ ما اغتصب وما قتل .. ما اغتصب وما قتل وانبرى صوت مفعم بالحقد الأسود :

ــ اقتلوا الشيخ الفاجر !!

.. رفع يديه المعروقتين يتقى بهما ضربات الغدر المحمومة .. ومالبث أن تهاوى تحت الأقدام .. !

.. تلفع بالظلام الدامس .. ومضى فى خفة الفهد يجوس خلال الدار المحترقة ورائحة الاخشاب المتفحمة تملأ خياشيمه .. توقف برهة وقد أرهف السمع لتلك الخطوات الوانية .. وفى لمح البصر كانت كفه تطبق على فم المرأة المذهولة وقبل أن تنطلق صرخة الفزع التى احتبست فى صدرها .. همس فى حزم :

ــ أين الشيخ ؟!

أشارت المرأة الى احدى الغرف الداخلية .. ساقها أماما فى هدوء وفى ركن الغرفة رقد الشيخ بلا حراك .. لم يتمالك نفسه .. أخلى سبيل المرأة وركع بجوار الجسد المسجى وقد احتبس صوته وهو يغالب دموعه :

ـ أبى .. !

تحركب أجفان الشيخ ببطء .. عاد يهمس بصوت باك :

ـ أبى ... !!

همس الشيخ فى حشرجة الموتى :

ـ أذهب يا ولدى .. أذهب ..

ـ أبى .. ما اغتصبت .. وما قتلت .. !

اضاءت أسارير الشيخ ابتسامة وانية وهو يهمس :

ـ أعرف .. يا ولدى ..

اشار الى المرأة فاقتربت منه ووضعت فى يده كيسا من القماش .. ناوله عابدا قائلا :

ـ خذ هذا .. يعينك على بدء حياة جديدة .. اذهب الآن .. !

قاطعه عابد :

ـ لن أتركك يا أبى .. !

قال الشيخ فى حزم وصرامة :

ـ لا مكان لك هنا .. اذهب الى الوادى الشرقى .. للشيخ فخر الدين أنت تعرفه .. !

ـ اجل يا أبى ..

ـ سيرتب لك مكانا فى احدى القوافل .. ولا تعد هنا مرة اخرى .. !

صمت الشيخ برهة لالتقاط أنفاسه المتهالكة ثم عاد يقول :

ـ عدنى أن تذهب للشيخ فخر الدين ..

ـ اعدك يا أبى !

ـ وأن ترحل الى الشمال ولا تعد هنا ثانية .. !

همس عابد فى اشفاق :

ـ وانت يا ابى ؟!

أجاب الشيخ :

ـ لم تعد بهم حاجة الى ..

ثم أشار الى المرأة :

ـ انظرى الى الطريق .. !

مد كفه المرتعشة يتحسس وجه الشاب وهمس

ـ الرجال لا يبكون يا ولدى .. وهذا امر الله !

انحنى الشاب على الوجه الفانى يلثمه بشفتين بللهما الدمع فى حين تقدمت المرأة هامسة :

ـ الطريق خال .. !

— ١٨ —

توقف على مشارف القرية والشمس تميل للمغيب .. كان حريصا على عدم الدخول الى القرية الا بعد الغروب .. تحسبا لأية مفاجآت قد تفسد الرحلة .. مال الى أحد الجداول التى تشق الحقول وراح يغترف الماء الى فيه .. ويبلل رأسه وعنقه ..

.. هبط الى القرية يتلمس طريقه فى الظلام .. مستعينا بالذاكرة فى الوصول الى دار الشـــــيخ فخر الدين بين الدروب والأزقة ..

توقف أمام الدار يلتقط أنفاسه .. والقى نظرة ســــــريعة فاحصة على ما حوله .. تقدم فى حذر ثم طرق الباب .. جاءه صوت جهورى من الداخل هاتفا :

ـــ من الطارق ؟!

اجاب بصوت حاول أن يجعله مسموعا :

ـــ رسول من عند الشيخ عبد السلام ! ..

ساد الصمت للحظات قبل أن ينفرج الباب عن شبح الرجل مادا يده بمصباح زيتى وهو يقول بلهجة متعجبة :

ـــ من ؟! ماذا قلت .. !

ـــ رسول من عند الشيخ عبد السلام ! ..

هتف الرجل وهو يفسح لدخول الشاب :

ـــ مرحبا برسول شيخنا .. !!

ـــ ١٩ ـــ

قال الرجل بعد أن فرغ الشاب من روايته :

ـــ لعنة الله على الظالمين .. !

ثم عقب وهو يفحص الشاب فى اشفاق :

ـــ لك الله يا ولدى .. فأنت مطارد من الشرطة والزهايرة معا !! ..

همس عـــــابد :

ــ أجل ياســـــيدى .. !

عاد الشيخ يقول !

ــ لقد رحلت القافلة منذ يومين .. ولن ترحل التالية الى الشمال قبل شهر .. !

ران الصمت للحظات قبل أن يقطعه الشـــــيخ فخر الدين بقوله :

ــ على أية حال أنت آمن فى بيتى .. ولن يصلوا اليك هنا .. المهم الا تبرح الدار قبل أن آذن لك ..

ثم قام الى باب الحجرة ونادى :

ــ يا أم زينب .. تعالى أنت والبنتين .. !

عاد الى مجلســـــه فقابله عابد بنظرة متســـائلة فقال الرجل مازحا :

ــ قد أخفيك عن أعين المطاردين .. ولكن كيف أخفيك عن أهل بيتى ؟

ثم التفت الى المرأة التى وقفت على باب الغرفة متشـــــحة بخمارها وخلفها ابنتاها :

ــ يا أم زينب .. هذا عابد .. ابن الشيخ عبد السلام .. سيقيم بيننا حتى يأذن الله .. !

همست المرأة بكلمات الترحاب على حين اســـــتمر الشيخ فخر الدين يقول :

ـــ لا أحب ان يعلم بوجوده أحد .. !

رفعت المرأة رأسها فى تســـــاؤل ولكن الشيخ قطع عليها تساؤلها بقوله :

ـــ هيا .. اعدوا العشاء .. ومكانا لاقامة ضيفنا !

ـــ ٢٠ ـــ

قال الشيخ فخر الدين مداعبا :

ـــ أحسنت ان اطلقت لحيتك .. !

تبسم عابد وقال :

ـــ للضرورة أحكام ياشيخنا .. !

عاد الشيخ يقول :

ـــ غيرت من ملامحك .. وان زادك وسامة ..

ثم غير من لهجته فجأة قائلا :

ـــ عمدتنا يرغب فى لقائك ؟!

هتف عابد فى انزعاج :

ـــ لم ؟!

أجاب الشيخ فى هدوء :

ـــ ستطول اقامتك بيننا .. وآن لك أن تخرج الى البلدة ..

مرت لحظات مشوبة بالقلق قبل أن يتساءل عابد :

ـــ ستطول اقامتى ؟! ماذا تقصد ياسيدى ؟! ..

أجاب الشيخ :

ـــ لن تخرج القافلة هذا الشهر .. تعرضت القافلة السابقة للنهب بواسطة رجال الزهايرة وآل جهاد فى بحثهم عنك .. فخاف الرجال على تجارتهم .. وقرروا الا يخرجوا هذا الشهر . !

غشيته موجة من الحزن والمرارة .. واحساس بالقهر يعتصر قلبه .. فطن الشيخ الى ما يعتلج فى صدره فحاول أن يسرى عنه :

ـــ أضقت بالاقامة بيننا يا عابد ؟!

قال عابد فى صوت مختلج :

ـــ لا يا سيدى واقسم .. وما وجدت من آل بيتك الا خيرا واحسانا ..

قاطعه الشيخ قائلا :

ـــ اذن لنعجل بلقاء عمدتنا .. فهو فى شوق للقاء ابن أخى العائد الى بلدته التى ولد بها فتيا .. !

تساءل عابد فى تعجب :

ـــ ابن اخيك ؟!

ـــ الست ابن أخى حقا ؟! ان ما كان بينى وبين الشيخ عبد السلام ليرتفع فوق كل الأواصر .. حتى رابطة الدم ..

همس عابد فى أيمان :

ـــ أجل ياسيدى .. !

ـــ وحقيقة الأمر انه كان لى شقيق يدعى أيوب .. وقد رحل عنا منذ ثلاثين عاما الى بلاد العـــــراق .. وراح يتنقل بين بلاد المشرق والمغرب حتى اســــتقر فى القاهرة .. مع زوجه وولده

الوحيد .. ثم انقطعت أخباره .. فمن قائل أنه مات فى القاهرة ودفن فيها .. وقول أنه سافر الى الحجاز ومات هناك ..

تســــاءل عــــابد :

ــ الم تسع لمعرفة مصيره ياسيدى ؟!

أجاب الشيخ :

ــ بلى يا ولدى .. ولم افلح .. بل ولم استدل على مكان زوجه وابنه ..

ثم بعد لحظات من الصمت عاد الشيخ فخر الدين يقول :

ــ وها انت يا ولدى تعود الى بلدتك .. لترعى عمك فى شيخوخته وتقوم على مصالحه ..

فكر عابد برهة ثم قال :

ــ ولكن اذا تيسر لى الرحيل فيما بعد .. فماذا تقول ؟!

اجاب الشــيخ :

ــ دعنا لا نسبق الأحداث .. !

ثم نظر اليه نظرة فاحصة متأنية قبل ان يقول :

ــ عليك أن تنسى عابد بن عبد السلام .. فأنت من هذه اللحظة .. نور الدين أيوب .. !

ــ ٢١ ــ

.. اندس بين جموع المصــــلين وقد تعلقت عيناه بالرجل القائم على المنبر وهو يهتف فى عصبية :

ــ ان اعداء الاسلام يتربصون بنا من كل جانب .. والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. الى الجهاد يا رجال

الله .. لاعلاء كلمة الله فى الأرض .. والله ما استطاعوا لنفذوا اليكم فى مخادعكم .. فيذبحون ابناءكم .. ويستحيون نساءكم .. ولا خيار لكم اليوم .. اما النصر .. أو الشهادة .. !

هتف المصلون بصوت كالرعد :

— لا اله الا الله .. محمد رسول الله .. !

ردد المصلون الهتاف عدة مرات وقد تملكهم الحماس وأخذتهم الحمية فهبوا واقفين يدكون الأرض بأقدامهم !..

— ٢٢ —

فى الطريق الى الدار قال الشيخ فخر الدين :

— خطبة عظيمة .. وشيخ عظيم .. !

قال عابد :

— لم تكن صلاة .. بل هى بالمظاهرة أشبه !..

قال الشيخ :

— هذا حق .. ما الصلاة الا مظاهرة فى طاعة الله .. !

قال عابد فى نبرة عتاب :

— للصلاة آداب يجب مراعاتها ياعماه .. !

هتف الشيخ فخر الدين فى حماس :

— نحن نواجه عدوا شـــــرسا .. لا يرعى لله حرمة .. وعلينا أن نسمعه صوتنا .. وان اقتضى الأمر قتاله بكل ما نملك ..

ثم نظر الى عابد متسائلا :

— أتحجم عن القتال فى سبيل الله يا ولدى ؟!

هتف عابد فى استنكار :

ـ حاشا لله ياعماه .. هذا شرف لا يناله الا الأخيار .. !

ثم فاض به الحماس .. وومضت عيناه قائلا :

ـ والله ما وعيت الا لبيت .. واما النصر أو الشهادة .. !

توقف الشيخ وراح ينظر اليه مليا باعزاز وفخر .. ثم اغرورقت عيناه وهو يحتضن الجسد الثائر قائلا :

ـ بوركت يا ولدى .. وجعلك الله فخرا للاسلام ! ..

ـ ٢٣ ـ

ـ ماذا فعلت يا فخر الدين ؟

ـ كما أمرت يامولاى ! ..

ـ ورجال القرية ؟

ـ لاقوه بالترحاب .. واطمانوا له ..

ـ وعابد ؟!

ـ تقصد نور الدين أيوب ؟ مطمئن تماما .. وان كان يتوق للرحيل ! ..

ـ لن يرحل طالما لديه البيت .. والزوجة ..

ـ بم تشير يامولاى ؟!

ـ مر الرجال يبنون له بيتا .. وزوجه من احدى ابنتيك ..!

ـ الرأى ما ترى يامولاى ..

وباشارة من يده صرفه .. :

.. استقبل حياته الجديدة بشيء من القلق المبهم .. ولكنه لم يلبث أن طرح القلق وراء ظهره .. واستسلم لدفء البيت وعشق الزوجة .. وران الهدوء على قلبه .. ولم يعد الماضى الا صورة باهتة غير واضحة المعالم ..

أصبح يمضى نهاره فى حانوت الحبوب الذى افتتحه .. وفى المساء يمضى مع الشيخ فخر الدين الى مجلس الامام ..

ذات مساء باغته الامام بقوله :

— غدا تؤم المصلين فى الجمعة يا نور الدين .. !

فوجىء بهذا التكليف الذى لم يتوقعه .. فقال :

— هذا شرف لا قبل لى به يا مولاى .. !

قاطعه الامام مبتسما :

— بل أنت أهل له يا نور الدين .. وسأكون مع المصلين خلفك ..

هتف معترضا :

— مولاى .. !

— من الليلة أنت الشيخ نور الدين أيوب .. وفى كل صلاة .. الامامة لك .. ما خلقت الا لهذا ..

ثم وهو ينهض :

— قم ياشيخ لتؤمنا لصلاة العشاء .. !

— ٢٥ —

.. استشعر ثقل المسئولية التى ألقاها الامام على كاهله .. فبات مؤرقا لم يطرق النوم جفنيه ..

همست زينب وهى تدغدغ كتفيه :

ـ ماعهدتك مثل الليلة ..

قال :

ـ أجل .. أجدنى مضطربا على غير العادة .. ما كان لى أن أقبل ..

قالت : الامام لا ترد له كلمة .. وأنت لها يا أبا عمار .. !

تدفقت كلماته بالحنان وهو يقول :

ـ جلل الموقف أنسانى الولد .. أين هو .. ؟

ابتسمت قائلة :

ـ أخذه جده ليبيت معه .. وأمرنى أن أفرغ لك ..

ثم وهى تقبل شعره :

ـ لم تأكل شيئا فى العشاء .. هيا .. سأعد لك لقيمات قبل ان تخرج لصلاة الفجر .. !

— ٢٦ —

كان يوما لم تشهده القرية من قبل .. سرى الخبر كالبرق فى دروب القرية وجاوزها الى القرى المحيطة .. حتى بدا اليوم كيوم عرفة ..

.. ضاق المسجد الكبير بمن فيه .. فافترش المصلـــــون الطرق المؤدية اليه والمحيطة به من كل جانب .. وخرج الأطفال

والنساء من الدور الى مشارف المسجد فى زينة يوم العيد ... وعندما حانت اللحظة قام الامام وخلع عباءته الموشـــــاة بالحرير والذهب والبســــها عابدا ثم أخذه من يده‌بعد ان قبل جبينه .. وقاده الى المنبر .. ثم واجه المصلين الذين جاشت قلوبهم وفاضت دموعهم وهتف :

ــ أيها الناس .. الحمد لله والله اكبر .. ولا اله الا الله .. هذا هو شيخكم .. هذا امامكم .. سيف الاسلام .. نور الدين أبوب .. !!

ــ ٢٧ ــ

هتف ابراهيم الزهيرى بلا وعى :

ــ ماذا ؟! انقطع بأنه هو ؟!

قال الرجل فى ثقة :

ــ بلى ياسيدى . هو بعينه .. عابد بن عبد السلام .. !

عاد الزهيرى يهتف :

ــ عابد ؟! اموقن انت يا رجل ؟!

عاد الرجل يقول فى تأكيد :

ــ بلى ياســـــيدى .. انى اعرفه .. ولو نبتت له آلف لحية .. !

هدر صوت الزهيرى فى وحشية :

ــ القاتل .. الذى مرغ شرفى فى الوحل .. !

ثم وهو يتساءل فى شك :

ـ تقول انه يصلى بالناس ؟!

ـ نعم .. وله زوجة وولد .. وتجارة .. !

قال الزهيرى هازئا :

ـ تخفى فى زى الشيوخ .. !

قال الرجل :

ـ صارت له مكانة عظمى .. واسم جديد .. !

صمت ابراهيم الزهيرى قليلا ثم كشر عن أنيابه قائلا :

ـ أرسل فى طلب الرجال ! ..

ـ ٢٨ ـ

عندما عرض الزهيرى الموقف فى ايجاز قال أحد الرجال :

ـ أخشى الا يكون هو ..

وعقب آخر :

ـ علينا أن نتيقن قبل الاقدام على اية حماقات .. الرجل له مكانة عظيمة فى قلوب الناس .. ولن يغفر لنا الامام ورجاله أبدا ..

قال ابراهيم الزهيرى :

ـ لقد ارسلت من تأكد من هويته .. هو بعينه عابد بن عبد السلام .. ثم وهو يتفرس فى وجوه الرجال :

ـ لنتسلل اليه ليلا .. وعابد ممن لا يحملون السلاح ..
كونوا على حذر .. ولا تقتربوا منه فيبطش بكم ويفتضح أمرنا ..

ثم أشار الى أحد الرجال :

ــ هذا يدلكم على داره ..

وعاد يقول محذرا :

ــ لا تدعوه يفلت منكم .. فهو كالوحش الكاسر .. هيا .. اعدوا أسلحتكم !

ـ ٢٩ ـ

قال عابد فى اشفاق :

ــ لقد ارهقت نفسك الليلة يا مولاى .. وآن لك أن تستريح ساعة ..

قال الامام مداعبا :

ــ أوحشتك زينب .. ؟

اجاب عابد فى حرارة :

ــ بل اشفق عليك يامولاى .. !

قال الامام :

ــ لا عليك ياولدى .. أين نحن ممن كانوا يواصلون الليل بالنهار فى الدعوة الى الحق .. عليك أن تتذكر كلما أحل بك النصب هؤلاء الذين شردوا وقتلوا فى سبيل الله .. والذين ماتوا جوعى وبلامأوى ليصل الينا دين الحق على صحاف من الذهب والفضة .. !

همس عابد وقد أغرورقت عيناه :

ـــ لك الله يا مولاى .. لك الله ..

ثم تملكت الامام روح المداعبة .. فعاد يقول :

ـــ أم تراك مللت صحبتى ؟!

ـــ حاشا لله يا مولاى ..

ـــ اذن تقبل دعوتى للطعام !..

... وقبل أن يجيب عابد .. مزق سكون الليل أصـــوات طلقات الرصاص المتتابعة .. أعقبها صرخات الفزع .. وقبل أن يتنبه لما يحدث كانت السنة اللهب تشق عنان السماء ..

.. اصـــطدم فى طريقه الى الخارج بخادم الامام والهول يرتسم على وجهه وبادره صارخا :

ـــ النار فى بيتك ياسيدى .. !

لم يدر عابد كيف قطع المسافة من دار الامام الى بيته .. كانت النيران تلتهم الدار .. وأهل القرية يحاولون محاصـــرتها دون جدوى .. وقبل أن يتنبه أحد .. كان عابد يخترق حصار اللهب الى الداخل هاتفا على زوجه وولده بلا وعى .. !

ـــ ٣٠ ـــ

بكى فى حضن الامام كما لم يبك من قبل .. وبكى أهل القرية كما لم يبكوا على موتاهم .. وقال الامام لمن حوله وقد ابتلت لحيته بدموعه :

ـــ كان يتعجل الذهاب .. وأنا استبقيته .. !

تحشرج صوت عابد وهو يقول :

ـــ اغتالوا الشيخ فخر الدين ظنا منهم انه أنا .. !

قال الامام :

ـــ انهم شهداء يا ولدى .. !

وشرق صوته بالدموع وهو يهتف :

ـــ أحرقوا الزوجة والابن ..

عاد الامام يقول فى ايمان عميق :

ـــ هم شهداء ياولدى .. !

قال عابد :

ـــ وعلى الثار يامولاى .. ! ..

ـ ٣١ ـ

.. جلس بين يدى الامام وقبل رأسه ثم قال :

ـــ أفتنى فى ثارى يامولاى .. !

قال الامام :

ـــ هذا ثار الله ياولدى .. !

تســـاءل عـــابد :

ـــ ألم تقل لى أنى سيف الاسلام ؟!

أجاب الامام :

ـــ بلى .. فى الحق والعدل .. !

عاد يتساءل فى اصرار :

ـــ أو ليس ثأرى هذا بالعدل ؟!

اجاب الامام :

ـــ أخشى أن تأخذ بريئا بما اقترفه الغير ..

ثم امسك بكفيه وضغط عليهما بقوة وهو يقول :

ـــ أموقن أنك ستقيم العدل ؟! الن تطغى قوتك على الحق فتزهق أرواحا بريئة ؟!

قال عـــــابد :

ـــ أو ليس من قتلوا بأبرياء ؟!

هتف الامام :

ـــ اتريد أن تكون جبارا فى الأرض ؟! أتكون مثلهم ؟!

انتزع عابد كفيه من الامام وهو يهدر بالغضب :

ـــ فى البدء كان ابى .. والآن .. الشـــــيخ فخر الدين وزوجى وولدى .. !

قال الامام فى اسى :

ـــ اذهب للصلاة ياولدى .. والله يفعل ما يشاء .. !

ـــ ٣٢ ـــ

صرخ ابراهيم الزهيرى فى ذهول :

ـــ يا ويلى .. عابد لم يمت ؟!

لم يجرؤ احدهم على النظـــر اليه بينما راح الزهيرى يهدر ساخطا :

ـــ ماذا فعلتم به ؟! بل ماذا فعلتم بى ؟! ألم أحذركم ؟!

قال أحدهم في صوت واهن :

ـــ لم ندرك أنه بالخارج ! ..

هتف الزهيرى وقد أمسك بخناقه :

ـــ وما أدراك أنه النائم بالدار ؟ ! والله لو أرسلت النساء ما خبن خيبتكم .. ! اغربوا عن وجهى .. عليكم اللعنة .. !

اخذ يدور فى الغرفة كالمحاصر وهو يولول :

ـــ ياولى .. ماذا افعل .. اين اذهب ؟!

قال احد الأبناء :

ـــ لن يجسر يا ابى على القدوم الينا .. !

صاح الزهيرى :

ـــ بل سيأتى .. !

قال آخر فى استهانة :

ـــ فليأت .. وسيجدنا فى انتظاره .. !

نظر اليه أبوه ساخرا :

ـــ يافرحة أمك بك .. !!

ثم هب واقفا وصاح فى النساء :

ـــ استعدوا للرحيل .. هيا .. اجمعوا ما تستطيعون حمله من متاع ونقود ومصاغ .. سنرحل فى الفجر ..

قال الأبناء :

ـ نرحل ؟! الى اين يا ابى .. ؟

اجاب الزهيرى :

ـ الى مصر .. !

هتفوا جميعا :

ـ مصر ؟! أنترك دورنا والأرض ؟ .. ولمن ؟!

هتف الرجل ساخطا :

ـ وهل سنترك الدور والأرض .. يالكم من اغبياء .. سيرعى الأرض من فيها .. وسنعود اليها بعد فترة .. حتى ارى ما يمكن عمله ..

هيا .. اعدوا العدة للرحيل ..!!

ـ ٣٣ ـ

قال الامام :

ـ أهذا قرارك الأخير ؟!

ـ اجاب عابد :

ـ بلى يا مولاى .. !

عاد الامام يقول :

ـ ان مصر واسعة .. ولن تجد له أثرا ..

ردد عابد كمن يحدث نفسه :

ـ سأتبعه الى أقاصى الأرض ..

صمت الامام مليا قبل أن يقول :

ـ هنا ارضك .. وتجارتك .. ومريدوك .

قال عـــــابد :

ـ لم يعد لى شىء ..!

تساءل الامام :

ـ اتعرف أين استقر الرجل ؟

أجاب عـــــابد :

ـ لقد سافر فى النيل .. كما قيل لى .. وسابدأ البحث من بولاق .. !

قال الامام :

ـ قد تبحث سنوات ياولدى .. ولا تجده ..

أجاب فى اصرار :

ـ ولو افنيت عمرى .. حتى القاه .. !

اغرق الامام فى الصمت وقد أغمض جفنيه .. مال عابد عليه فقبل رأسه قائلا :

ـ حفظك الله يامولاى .. وأمد فى عمرك .. !

ـ ٣٤ ـ

بعد صلاة الفجر .. بدأ رحلته .. وقبل أن يبارح القرية انعطف الى الجبانة لوداع الأحبة .. ولم يتمالك نفسه فأجهش بالبكاء ..

ظل مكانه الى أن هدأت نفسه .. ثم واصل طريقه الى القاهرة ! ..

الفصــل الثــانى

— ١ —

كان لغضبة المعلم فاروق الصياد وقعا رهيبا على من حوله .. خاطب اعوانه وعيناه تتفرسان فيهم بنظرات نارية تكاد تخترق صدورهم وصوته يقطر سما وسخرية :

— وماذا فعلتم ؟! هه ؟!

ثم ملتفتا الى أقرب اعوانه :

— ماذا فعلت يا أبا الفوارس ؟! جئتنى بالنبأ السعيد ؟! عوضى على الله فيكم .. أرجال أنتم أم مجموعة أغوات ؟! عليكم اذن باعداد مجالس الأنس .. ودعوا مهام الرجال للرجال .. !!

قال حسن سوكة أقرب الأعوان فى ضراعة :

— بالله عليك يا معلمى .. لا تغضـــب .. لقد حاولنا اخراجه .. ولكنه تحصن فى التكية المهجورة ..

هتف الصياد ساخطا :

— فلتدك التكية على أم رأسه .. أم خفتم مما يشـــاع عنهـــا ؟!

قال سوكة :

ـــ رأينا أن نهتدى برأيك أولا .. !

قال الصياد ساخرا :

ـــ منذ متى ؟! تأتونى دائما بعد خراب مالطة ..

ساد صمت ثقيل قبل أن يصرفهم باشارة من يده !

ـــ اسبقونى الى المقهى .. وسأوافيكم بعد الغداء ..

ثم وهو يهتف :

ـــ الطعام يا امرأة .. !!

ـــ ٢ ـــ

ألقى بجسده اللحيم على الشلتة الحريرية بينما راحت (سارة) آخر زوجاته ترص أطباق الطعام فى رشاقة وخفة لم يعهدها فى نسائه اللائى سبقنها .. كانت فى العشرين من عمرها .. متوسطة الطول .. خمرية اللون مع زرقة فى العيون وهو ما خلب لبه يوم رآها لأول مرة فى عرس احدى فتيات الحى ..

وعندما سأل عن أهلها كان ذلك ايذانا بقرب انضمامها الى حريمه .. بل واعتبر ذلك بمثابة خطبتها اليه بصفة رسمية .. !

وبعد أيام زفت اليه فى عرس تناقلت أخباره كافة الأحياء .. وأعد لها بيتا يليق بجمالها .. قام على تأثيثه أعيان الحى وتجاره بأفخر الأثاث والرياش .. ونحرت الذبائح بلا عدد .. وأريق المئات من زجاجات الشراب .. وعندما لعبت الخمر برأسه وأذهب الحشيش وعيه قام فاروق الصياد وصعد الى المنصة يتمايل ويتراقص بجسده كالفيل على أنغام الموسيقى ودقات الدفوف .. ثم شيعته الدعوات بالسعادة وطول العمر وهو يحمل عروسه بين يديه وكأنما يحمل طفلا لم يزل فى المهد بعد .. !

— ٣ —

— كان جدك رحمه الله من الرجال الصالحين .. وكانت الفتونة عبئا ينوء به .. وليس مظهرا من مظاهر العظمة والجبروت .. والثراء غير المشروع .. !

بهذه العبارة استهل الشيخ ابو العينين حديثه الى المعلم الصياد صبيحة زفافه ..

.. أنصت اليه الصياد بذهن غائب .. وتذمر في قرارة نفسه وان لم يفصح خشية اغضاب الرجل الذى يحرص على ارضائه .. بينما استرسل الشيخ ابو العينين قائلا :

— وسار أبوك على نهجه .. رحمه الله .. كان يرعى الله في كل صغيرة وكبيرة .. كان رجلا عادلا .. سخر قواه ورجولته في اعمال الخير .. لم يعشق سوى أمك .. ولم يرفع عصاه الا لنصرة المظلوم .. أو حق ضائع .. !

ثم وهو يهتف حانقا :

— اتسمعنى يا فاروق ؟! أم أن الخمر والحشيش أذهلاك عما حولك ؟

تمتم الصياد في احتجاج ضعيف :

— لا تقس علي ياشيخ ابو العينين .. انى انصت اليك . !

— ابوك وجدك لم يعاقرا الخمر طيلة حياتهما .. لم يسمحا لسموم المخدرات بدخول الحى قط .. الله يرحم أبوك .. لم يذق في حياته سوى العرقسوس وشراب النعناع ! ..

تبسم الصياد لمقولة الشيخ وهمس لنفسه :

ـــ لو تذوق الخمر مرة واحدة لأباد بائعى العرقسوس عن بكرة ابيهم .. !

ثم اصطنع التجهم قائلا :

ـــ رحم الله أبى وجدى والمؤمنين .. !

حذره الشيخ قائلا :

ـــ لا تسخر من رجال الله يا فاروق .. !

أجاب فى تأثر :

ـــ والله ما أهزل .. ولكن لكل زمان رجاله ياشيخنا .. !

أشاح الشيخ بيده فى استهجان :

ـــ هراء .. الرجال هم الرجال فى كل زمان ومكان .. ولو لم أتلقاك على يدى هاتين لأنكرت أنك ابن برهان الصياد .. !

ثم قال فجأة :

ـــ أما شبعت زواجا ؟!

همس الصـــــياد :

ـــ أحببتها .. !

ـــ بل غرك صباها .. !

دق الصياد صدره بكف كالمطرقة وهو يقول بفخار :

ـــ انى اقوى على الف امرأة ..

ـــ تصغرك بخمسة وعشرين عاما .. لا تكابر .. !

أطلق ضحكة كالرعد هاتفا :

ـــ لن تغلبنى امرأة حتى وأنا فى الثمانين .. !

— ٤ —

عندما شعر برهان الصياد بدنو الأجل أرسل فى طلب الشيخ رفاعى امام المسجد والذى وافاه على عجل .. بينما جلس فاروق الصياد امام المقهى يدخن النارجيلة .. تتحلقه كوكبة من أعوانه .. فى حين مكث عثمان فضالى فى داره لا يبرحه محاطا ببعض أعوانه المقربين .. وقد آثر الاحتجاب خشية تحرش فاروق أو أحد رجاله به ..

بدا الحى وكأنما مقبل على أحداث جسام .. ولاحت فى الأفق نذر التغيير المنتظر .. وثارت التكهنات عمن يحسم معركة الخلافة لصالحه .. عثمان فضالى بقوته التى يستمدها من علمه الدينى والدنيوى وقربه من برهان الصياد الذى يثق به ويجله .. أم فاروق الصياد بقوته الخارقة التى ورثها عن أبيه وجده وان لم يرث غيرها .. مما حدا بأبيه أن يأمر بطرده من الحى هو وأعوانه ويعلن غضبه عليه بعد أن تشاكى له الناس عن طغيانه وسوء مسلكه .. وغاب عن الحى ردحا من الزمن ثم عاد معلنا توبته وطالبا الصفح من أبيه .. وتوسط له العديد من الرجال حتى صفح برهان الصياد عنه وان لم يقربه اليه كما فعل مع عثمان فضالى .. مما أوغر صدره على الرجل وراح يتحين الفرصة .. ويعد نفسه لخلافة أبيه سرا ..

وهكذا راح الحى فى تســــاؤلات : أهو عثمان فضالى أم فاروق الصــــياد ؟!

همس برهان الصياد فى صوت واهن :

ــ ماذا ترى ياشيخ رفاعى ؟!

اجاب الرجل :

ـــ ما قدر يكون .. فاروق لا آمن له .. وعثمان له مكانته في القلوب ولكنه لا يقوى على مواجهة فاروق ..

عاد برهان يتساءل :

ـــ أين الشيخ ابو العينين ؟

ـــ لا احد يعلم .. يختفي فجأة كما يظهر فجأة .. أرسلت بعض الرجال للبحث عنه :

قال برهان :

ـــ عثمان فضالي هو رجلكم ! ..

ـــ اجل .. ولكن فاروق .. !

قاطعه في حدة لا تتناسب ومرضه قائلا :

ـــ آتوني بهما .. !

جيء بالرجلين .. ومثلا أمام فراش الرجل القوي في لحظاته الأخيرة .. ومضت عينا الرجل وهو يتفرس في الواقفين أمامه .. كان المشهد جليلا .. والأعين متعلقة بوجه الرجل المسجي في فراشه وان لم تفارقه قوته .. قال في صوت سمعه كل من في الحجرة :

ـــ أشهدكم جميعا .. عثمان فضالي هو رجلكم بعدي .. !

اتجهت الأنظار بلا شعور الى وجه فاروق الصياد الذي بدا محتقنا وان حاول اخفاء ما يعتمل في صدره .. أدرك برهان ما يدور في نفس ولده فأشار اليه أن يقترب .. ثم أمسك يديه في قوة وقال :

ـــ فاروق .. عثمان هو رجلك .. !

أومأ برأسه دون أن ينبس أو أن ينظر الى عينى والده ..

ـ عليك الطاعة ..

همس فاروق فى انكسار :

ـ اجل .. يا أبى ..

ـ تفعل ما تؤمر ..

ـ اجل يا أبى ..

وقبل أن يسترسل مد برهان يده تحت الوسادة وأخرج مصحفا صغيرا رفعه أمام عينى فاروق قائلا :

ـ أقسم ! ..

ـ لا .. !

هتف بها فاروق دون وعى .. وقبل أن يفيق الحضور من وقع المفاجأة كان فاروق يندفع خارج الحجرة مهرولا .. لم يجرؤ أى من الحاضرين على الحديث الى أن قال برهان :

ـ اقولها ثانية .. عثمان فضالى رجلكم بعدى .. عليكم بمساندته ضد الطاغية .. !

ثم موجها الحديث الى عثمان فضالى :

ـ ان استدعى الأمر .. اقتل فاروق ! ..

— ٥ —

اختفى فاروق الصياد من الحى .. ولم يعد له أثر .. ودفن برهان فى غيبة ابنه .. ووقف عثمان فضالى يتلقى العزاء فى وفاة سلفه العظيم .. سبع ليال متوالية وفى حراسة مشددة على مداخل الحى خشية الهجوم المتوقع من فاروق ورجاله ..

.. مضت الأيام فى هدوء .. واستقر المقام والأمر لعثمان فضالى الذى سار على نهج برهان الصياد وسياسته فى تسيير شئون الحى .. وان زاد عليه فى حلقات الذكر التى كان يقيمها مساء كل خميس .. واقامة المآدب للفقراء .. وقام بتحويل الدار الكبيرة التى شيدها برهان الى مأوى وسكن لطلاب العلم الوافدين للدراسة بالأزهر .. وأوقف على رعايتهم بعض أعوانه .. حتى أطلق على الدار تكية عثمان .. وأنتعش الحى بالتجارة والتجار من كافة الملل والمشارب .. ونشطت حركة البناء والعمران .. وتوافد الكثير من الأسر من شتى أنحاء البلاد حاملين معهم عادات جديدة وتقاليد لم تكن معروفة لأهل الحى الأصليين .. وذابت العائلات الجديدة فى الحى العتيق بالزواج والمصاهرة .. وانتشرت تجارة العطور والحرائر والأصواف بعد أن كانت قاصرة فيما مضى على الحبوب والغلال ...

... مضت سنوات حتى صار برهان الصياد وابنه المختفى من ذكريات التاريخ التى يزخر الحى بها .. ولم يعد يذكرهم الا الشيخ أبو العينين الذى كان يعود الى الحى فجأة .. فيلقاه الرجال بالترحاب .. ويقوم عثمان فضالى على رعايته بنفسه فترة اقامته .. ويهتف الشيخ فجأة :

— ألم يعد فاروق بعد ؟!

فيجيب فضالى فى رفق :

— أين نحن من فاروق ياشيخنا ؟!

فيقول الشيخ ابو العينين :

— انت رجل طيب يا عثمان .. ولكن فاروق لم يمت .. !

يعود عثمان فضالى قائلا :

ـ نحن أهله ياشـــــيخ أبو العنين .. أهــلا به فى أى وقت .. !

يحرك الشيخ رأسه بمنة ويسرة قائلا :

ـ لا يا عثمان .. اما أنت .. أو هو .. !!

.. ويرحل الشيخ أبو العنين فجاة تاركا خلفه ظلا ثقيــلا لفاروق الصياد .. وحديثه المبهم عنه .. وبمرور الأيام ينسى الناس الشيخ أبو العنين .. ويتراجع فاروق الصياد الى زاوية النســـيان .. !

حتى فجع الحى ذات ليلة بالحريق الهائل الذى اتى على تكية عثمان .. وفى غمرة الهول الذى أصـــاب الحى .. فجع الجميع بمقتل عثمان فضالى ..

وقبل أن يفيق الناس من صدمتهم كان فاروق الصياد ورجاله يحتلون دار عثمان .. ووقف شاهرا سلاحه متحديا أهل الحى جميعا .. منصبا نفسه خليفة لوالده برهان الصياد ..

وجرت أعمال البطش والتنكيل بأعوان فضالى .. حتى دانت له السيطرة .. واخضع الحى لسطوته .. !

ـ ٦ ـ

... عندما قادته قدماه الى هذا المـــكان المهجور كان أول ما تبادر الى ذهنه أن ينال قسطا من النوم بريح بدنه المنهك من الرحلة الطويلة .. تخير أحد الأركان البعيدة عن الشارع واستلقى .. وراح فى سبات عميق .. ! لم يوقظه الا شـــعاع الشمس الساقط على عينيه والمتسلل اليه من خصاص احدى النوافذ .. نهض متثاقلا وراح يجوب الدار باحثا عن ماء ليغتسل للصلاة ..

وشد ما أدهشه تلك الدار الرحبة بغرفها المتعددة .. وقاعاتها الفسيحة والخالية من أى أثر للحياة .. اللهم الا آثار الدمار الذى لحق بها وترك بصماته الواضحة الجلية فى الأثاث الذى تفحم معظمه والحوائط التى اسودت من فعل النيران والدخان .. .

.. في فناء خلفى عثر على طلمبة بدا من منظـــرها أنها مهجورة منذ أمد بعيد فراح يعالج ذراعها الذى تيبس بفعل الصدأ حتى بدأ يستجيب له ..

.. غمره شعور بالفرحة وهو يتلقى بكفه قطرات المياه التى راحت تتساقط من فوهتها على الأرض المتربة ..

.. بعد أن فرغ من الصلاة .. قام يجوس خلال الدار باحثا ومنقبا .. وهاله تلك الكميات الكبيرة من الكتب التى احـــترق معظمها .. حتى وصل الى الدرج المفضى الى الدور العلوى .. فراح يرقى بحذر الى أن وجد نفسه فوق سطح الدار .. وقبل أن يتنبه الى أنه أصبح مكشوفا للدور المجاورة .. كان البعض يشير اليه فى ذعر واضح .. !

.. اختفت الرؤوس المتهامسة من الأسطح على عجل .. وبدأ اللغط يرتفع فى الحارة .. وعندما ألقى نظرة عجلى أسفل الدار هاله ذلك الجمع الحاشد من الرجال ذوى النبابيت .. والكل يشير الى الدار .. شعر بحاسته أنه أصبح هدفا لهذه الجماعة المسلحة .. !

.. هبط الدرج عدوا .. وتناول أحدى العصى التى لقيها فى طريقه .. ووقف فى فناء الدار منتظرا الهجوم المتوقع ... وبالرغم من أصوات الرجال التى كانت تصل اليه جلية .. الا أن ما أدهشه ذلك الاحجام عن الدخول اليه .. الى أن جاءه صوت أحد الرجال يخاطب رفاقه قائلا :

ــ انتظروا هنا .. حتى نذهب الى المعلم فاروق .. !

.. أدرك أن الرجل الذى يقصدونه هو كبيرهم .. وبدا له أنه مقبل على عراك لا جدوى منه .. قد لا يخسر المعركة .. ولكنه بالتأكيد سوف يخسر هؤلاء الناس الذين قرر أن يعيش بينهم .. وهو فى حد ذاته مالا يخدم القضية التى جاء من أجلها ..

وعلى الفور ألقى عصاه .. وبلا أدنى تردد يمم شطر الباب الى خارج الدار .. !

ــ ٧ ــ

.. عندما خطا خارج الدار تقهقر الجمع الحاشد بغير نظام وقد أذهلتهم المفاجأة .. وتصاريخ الكلمات وهم يعدون فى ذعر .. بينما صرخت احدى النسوة فى رعب :

العون خرج ..

.. تدافع المحتشدون وهم يفرون فى شتى الاتجاهات الا من ثلة من الرجال المدججين بالعصى وقد واتتهم الجرأة فمكثوا على مبعدة منه يرقبونه فى حذر وتوجس .. !

مكث لا يبرح مكانه .. بينما راحت الرؤوس المختفية خلف الأبواب والنوافذ تطل عليه فى تلصص .. وعندما آمن الناس قليلا .. بدأوا بتوافدون مرة أخـــــرى .. وان ظلوا بعيدا عنه بمسافة تسمح لهم بالفرار عند أول بادرة تبدر منه .. !

.. ارتفع صوته قويا ليسمع الجميع .. وان حاول جهده ان يكون ودودا :

ــ السلام عليكم ورحمة الله .. !

وقبل أن يسترسل جاء من آخر الصفوف صوت أجش :

ـــ افسحوا الطريق للمعلم فاروق .. !

تدافع الحشد الى جانبى الطريق .. على حين تقدم المعلم فاروق الصياد حتى وقف على بعد أمتار منه ..

بدا المشهد فريدا ومثيرا .. والعملاقان يتواجهان .. وكل منهما يتفحص غريمه بنظرة متأنية .. كان قد قرر الا يدخل معركة في الوقت الراهن على الأقل .. فبادر الرجل قائلا :

ـــ السلام عليكم يا معلم فاروق .. !

من الوهلة الأولى داخل المعلم فاروق اعجــــاب خفى بهذا العملاق الملتحى .. وجماله النادر بين الرجال .. وعندما القى عليه السلام تسلل صوته القوى الواثق الى قلبه .. ولكنه تمالك حتى لا يضعف أمامه وهتف هادرا :

ـــ وعليك السلام « ياسيدى » .. ! أى مصيبة تلك التى القت بك علينا ؟!

قال عــــابد :

ـــ غريب عن دياركم .. اروم مأوى .. وعملا أتعيش به ! .

عاد الصياد يهدر فى حنق :

ـــ أمن يروم مأوى وعملا يأتى ليلا متلصصا ويقتحم حرمات الخلق ؟!

قال عابد فى نبرة اعتذار :

ـــ كنت متعبا .. وضللت فى الظلام .. !

ـــ أفزعت الناس !

عاد عابد يقول فى اعتذار وود :

ــ ماقصدت ياسيدي !

« سيدى » ؟! راقته الكلمة ووجدت فى نفسه صدى طيبا .. همس لنفسه :

« غلبنى ابن اللئيمة بأدبه »

ثم هاتفا وهو يستدير :

ــ اتبعنى الى المقهى ! ..

ــ ٨ ــ

قال المعلم فاروق الصياد وهو ينفث سحابة عظيمة من دخان نارجيلته :

ــ ما اسـمك ؟!

ــ عابد بن عبد السلام !

ــ قلت انك من الجنوب ؟!

أومأ عابد برأسه بينما استرسل فاروق :

ــ ماذا تجيد من الحرف ؟!

ــ أنا تاجر ياسيدى ..

تساءل ساخرا :

ــ أفلست ؟!

لم ينتظر الاجابة فعاد يقول مشيرا الى لحيته :

ـــ حسبتك أزهريا !

همس عابد :

ـــ شرف لست بأهل له !! ..

عاودته روح الدعابة فقال :

ـــ متنكر اذن ؟! لعلك هارب من الشرطة .. !

قال عـــابد :

ـــ لا ياسيدى .. ولكن ..

قاطعه فى سخرية :

ـــ هى امرأة اذن .. !

ابتسم عابد لمقولة الرجل على حين أطلق فاروق ضحكة عالية رنانة .. وظل يضحك حتى احتقن وجهه .. ثم قال :

ـــ ستبيت فى المقهى حتى نرى ما يمكن عمله ..

قال عـــابد :

ـــ دعنى ابيت فى الدار المهجورة ..

هتف فاروق :

ـــ تكية عثمان ؟! انها ماوى للعفاريت والأشباح ..

قال عابد باسما :

ـــ ولكنى أقمت بها الليلة الماضية !

عاد فاروق الصياد يقول :

ــ لعل ساكنيها كانوا في رحلة أو شيء من هذا القبيل .. ولكنهم عائدون حتما .. دعك من التكية ولتبقى في المقهى .. !

قال عابد في هدوء :

ــ لا تخش شيئا ياسيدى .. سأبقى تحت بصر رجالك .. أما العفاريت فأنا كفيل بها .. !

بهت الصياد لقول عابد .. ونظر اليه متفرسا وتلقى عابد نظراته بنظرة باسمة هادئة ..

راحت الأفكار تدور في عقله .. وهو يتفحص العملاق الجالس أمامه .. احس بصدقه .. ولو كان من آل فضالى لما انتظر كل هذا الوقت .. « رباه .. هذا نوع من الرجال لا عهد لى بهم » .. وقبل أن ينبس كان عابد يعاجله بقوله :

ــ ولست مسلحا كما ترى .. فلا خوف منى البته ! ..

هتف فاروق بلا وعى :

ــ مثلك لا حاجة له للسلاح يا عابد .. !

ثم مستدركا :

ــ على رسلك .. اينما شئت .. نم ! ..

وبينما يشد نفسا عميقا من النارجيلة لاحظ تحول بصر عابد الى الجهه المقابلة للمقهى .. فقال دون أن ينظر اليه :

ــ انها زبيدة .. لا يغرنك جمالها .. فهى شيطان له أنياب وأظافر .. تعلقت عيناه بهذا الوجه الفاتن وتلك العيون التى بادلته نظرة عميقه .. ثم سرعان ما تحولت الى لا شيء ..!

انتزعه قول فاروق من تأملاته .. فراح يتشاغل بالنظر الى الدخان المتصاعد من النارجيلة ولم يعقب .. وفى تحوله شعر بنظرات زبيدة تلهب أذنيه .. وعندما اتجه اليها ثانية كانت تنظر اليه فى ثبات وان لاحت الابتسامة الرقيقة المرحبة فى عينيها الدعجاوين ..

ولما رجع الى التكية ليعد لنفسه مكانا للاقامة كان وجه زبيدة يتراقص أمام عينيه . فانتشى قلبه وهمس لنفسه :

ـ لعل الله يعوضنى خيرا !!

ـ ٩ ـ

لفت نظر المعلم فاروق تلك الرحلات الغامضة التى يقوم بها عابد .. فقال له ذات مساء :

ـ اراك دائم التجوال بلا هدف .. ولا تحمل معك ما يباع أو يشترى .. ترى أى سر وراءك !؟

أجاب عابد :

ـ ليست هناك أية أسرار .. ورحلاتى هدفها التعرف على الأحياء المجاورة والاتصال بالتجار ..

وفى ليلة أخرى بادره قائلا :

ـ كل زيجة تتم فى هذا الحى .. بموافقتى أولا .. !

دهش عابد لقول الرجل فتساءل :

ـ أعلم ياسيدى .. ولكن مالى أنا وهذا ؟!

عبس الصياد قائلا :

ـ رأوك مع زبيدة فى الميدان !

بوغت لقوله .. ولكنه تماسك قائلا :

ـ كان لقاء عابرا .. !

هتف الصياد فى صرامة :

ـ أنا لا أسمح بأية علاقة غير شرعية فى هذا الحى ... !

فصاح عابد فى تأثر :

ـ أشهد الله أنه لقاء برىء ! ..

أحس الصدق فى كلماته .. فانفرجت أساريره قائلا :

ـ لا عليك .. ان شئت خطبتها لك !!

ـ ١٠ ـ

باتت تكية عثمان مهيأة لاستقبال العروس الفاتنة .. وتم طلاؤها بالجير بعد ازالة آثار الحريق .. وأعيد تأثيث الجناح الامامى بما يليق من الفرش والأثاث .. ووقف المعلم فاروق الصياد على رأس القوم يستقبل المدعوين .. وسهر الحى حتى الصباح ابتهاجا بزفاف زبيدة الى عابد بن عبد السلام !

ـ ١١ ـ

بعد أن فرغ من روايته قال عابد :

ـ رأيت ان أخبرك بما لم أخبر به أحدا .. حتى لا تظن بى سوءا .. !

أطرقت قليلا ثم رفعت عينيها اليه باسمة :

ـ حسنا فعلت .. وان كان هذا لا يغير من الأمر شيئا .!

قال فى تساؤل :

ـــ ماذا تعنين ؟!

همست وقد تخضبت وجنتاها حياء :

ـــ أحببتك ولم أعرف من أنت .. وحلمت بك زوجا وأنا أجهل كل شيء عنك .. !

.. أخذته صراحتها .. فقبل جبهتها قائلا :

ـــ وماذا ترين الآن ؟!

همست وهى تداعب لحيته بأناملها :

ـــ أرى أننى أسعد امرأة فى هذا الكون ! ..

ـــ ١٢ ـــ

.. عندما جاءه رسول فاروق الصياد قطبت زبيدة قائلة :

ـــ اللهم اجعله خيرا .. ترى ماذا يريد ؟!

قال عابد وهو يرتدى جلبابه :

ـــ سنرى الآن ..

ثم وهو يدس قدميه فى خفيه :

ـــ لا تبرحى الدار حتى أعود ! ..

ـــ ١٣ ـــ

كان المقهى يغص بالرجال .. وبدا من السحنات المتجهمة أن الأمر جد خطير .. وعندما أقبل عابد أفسح له الرجال طريقا الى مجلس المعلم فاروق الصياد الذى بادره قائلا :

ـــ جاءنا رسول من عكاشة رضوان فتوة السبتية .. !

تساءل عـــابد :

ـ وماذا يبغى ؟!

قال الصياد :

ـ أن تذهب اليه طائعا لتقدم له فروض الطاعة والولاء ..

بوغت عابد .. فقال فى دهشة غاضبة :

ـ ماذا ؟! كيف يقدم على هذا الطلب الغريب ؟!

فقال الصياد :

ـ يدعى أنك تعديت على منطقته وتحرشت ببعض رجاله .!

هتف عابد فى حنق :

ـ كاذب وحق الله .. !

نظر الصياد الى وجوه القوم متسائلا فانبرى احدهم قائلا :

ـ نبعث له رسولا ..

ولكن عابدا قاطعه فى حزم :

ـ كلا .. سأذهب اليه بنفسى .. !

فقال الصـياد :

ـ أرسل معك بعض الرجال ؟!

هتف عـــابد :

ـ لا .. سأذهب وحدى !..

ـ ١٤ ـ

... شق طريقه غير آبه للنظرات المحدقة به .. ولم يلتفت الى الرجال الذين يتابعونه منذ دخوله الحى .. اتجه رأسا الى مجلس الفتوة .. وهتف بصوت مفعم بالقوة والثقة :

ـــ ايكم عكاشة رضوان ؟!

اتجهت جميع الأنظار الى العملاق الملتحى وقد اخذوا بنبرة صوته المتحدية .. بينما لم يبارح الفتوة مجلسه وتساءل هازئا :

ـــ ومن تكون يا فارس الغبراء ؟!

سدد عابد اليه نظرة فاحصة ثم قال :

ـــ عابد بن عبد السلام .. الذى اتهمته كذبا وزورا ..

انقلبت سحنة الرجل وكشر عن انيابه وهو يزأر :

ـــ أتدعونى كاذبا ؟!

قال عـــابد :

ـــ بلى .. أنت كذاب أشر .. وعليك اثبات ما ادعيت .. !

انتفض الفتوة غاضبا .. ووقف قبالة عابد مرتكزا على نبوته وهتف :

ـــ لقد صدق ابراهيم الزهيرى فى قوله عنك .. ! وحقت عليك اللعنة أنت ومن يأويك ! ..

صك الاســـم ذهنه بقوة تكاد تفقده توازنه .. ان الرجل يقول ابراهيم الزهيرى .. أحقيقة تلك أم كابوس مزعج .. تساءل فى صوت مبحوح :

ـــ قلت من .. ؟!

قال عكاشة رضوان :

ـــ أليس هو من تتبع ؟! أليس هو من تحاول ابتزازه فى حمايتى ؟!

عاد يقول فى ذهول :

ــ ابراهيم الزهيرى ؟! فى حمايتك ؟!

أجاب الفتوة فى ثقة :

ــ بلى .. وقد وجب تأديبك لصفاقتك وغرورك ! ..

هتف عابد بلا وعى :

ــ عليه وعليك اللعنة ..!

وقبل أن يتنبه عكاشة رضوان .. كان عابد ينقض عليه وقد أعماه الغضب .. وفى لحظات كان الرجل مكوما على الأرض بلا حراك ! ..

.. وانفجر بركان القهر والغضب المدمر يكتسح كل شىء أمامه .. وراح النبوت يطيح بكل ما يلقاه فى طريقه .. !

ــ ١٥ ــ

انتشرت أنباء المعركة الهائلة بسرعة البرق .. وكان للنصر الساحق الذى أحرزه عابد وقع الصاعقة .. لما كان لعكاشة رضوان واعوانه من سطوة وجبروت وما اشتهر عنه من قوة خارقة ..

وعندما تأكدت هزيمة عكاشة ورجاله .. التف اهل الحى حول عابد ينادون به فتوة عليهم .. ولكنه بادرهم بصوت كالرعد :

ــ اريد ابراهيم الزهيرى .. !

تقدم منه شيخ الحارة منحنيا فى رعب وهو يقول :

ــ لقد فر عندما علم بقدومك ! ..

قاطعه عابد فى ثورة :

ــ أين داره .. ؟

اشار الرجل الى دار على يساره .. فاتجه عابد رأسا اليها ولكن الرجل صاح به :

ـ ليس بالدار سوى النساء .. !

لم يأبه لقول الرجل أعماه شيطان الغضب .. وغشيته سنوات القهر والعذاب .. فلم يترك الدار سوى انقاض ! ..

ـ ١٦ ـ

على مشارف الحى استقبله فاروق الصياد ورجاله استقبال الفاتحين حملوه على الأعناق بين تهليل الرجال وزغاريد النساء . ثم طافت به الكارتة الخاصة بالصياد فى انحاء الحى ... وعلى باب التكية كانت زبيدة فى انتظاره تحترق شوقا ولهفة لرؤية رجلها ..

وعندما استسلم ليديها تضمد جراحه من جراء المعركة الشرسة لمح فى عينيها نظرة عتاب .. همس عابد :

ـ ماذا بك !؟

قالت زبيدة وهى تتشاغل عن عينيه بما فى يديها :

ـ عهدى بك لا تتعرض للنساء .. !

غشيه حزن قاتم وهو يتمتم :

ـ أعمانى الغضب ! ..

قالت فى صراحة مؤلمة :

ـ بل اعمتك قوتك !! ..

... دفع يدها بعيدا عنه قائلا فى أسى :

ـ دعينى ! ..

— ١٧ —

... قال الشيخ أبو العنين :

— ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ! ..

تكدر الصياد لمقولة الشيخ فقال :

— ماذا تعنى ؟

عاد الشيخ يقول وكأنه لم يسمع سؤال الصياد :

— الله يمتحن عباده بالجبارين !

هتف الصياد حانقا :

— ماذا تقول ياشيخ ابو العنين ؟!

قال حسن سوكة مهدئا :

— لا تأبه له يامعلمى .. الرجل بخرف ! ..

وكزه الشيخ بعكازه وهب مهرولا فى نشـــاط عجيب وهو يهتف :

— يا صياد يا كبير .. أما شبعت موتا !؟!

— ١٨ —

راح يستنشق بعمق نسمات الفجر الباردة وهو عائد الى التكية بعد الصلاة .. انداحت عن صدره كل آثار الغضـــب .. وخلفت فى قلبه مسحة من الحزن العميق .. اعترضه شبح يتخفى فى ظلمة الفجر الوانية ..

قال : — من ؟!

أجابه صوت وكأنه قادم من أعماق الزمن :

ــ رسول الامام اليك ! ..

هتف فى شوق جارف وتفجرت فى أعماقه فرحة طاغية :

ــ مولاى ؟! كيف هو ؟!

ــ بل .. كيف أصبحت ؟!

همس فى حزن عميق :

ــ الامام غاضب ! ..

همس الشبح مبتعدا :

ــ يقرؤك السلام !

ــ ١٩ ــ

قص عليها حديث الرسول .. تابعته فى شغف واهتمام ثم قالت :

ــ لا تقصص رؤياك على أحد ! ..

هتف منفعلا :

ــ لم تكن رؤيا ! ..

عادت زبيدة تهمس :

ــ الامام يطالبك بالعهد !

قال فى انفعال :

ــ كدت أنسى ! ..

ــ لم ينسك الا الشيطان ! ..

أمسك بكفيها قائلا فى رجاء :

ــ خبرينى ماذا افعل ؟!؟

قالت فى حنو :

ــ اذهب الى الشيخ رفاعى !!

ــ ٢٠ ــ

قال الشيخ رفاعى فى أسى :

ــ ما عدت أقوى على شىء !

قال عابد فى اصرار :

ــ لديك العقل .. والحكمة !

عاد الشيخ رفاعى يقول :

ــ هذا زمان ولى .. أما اليوم .. فالغلبة للقوة الغاشمة .

ران عليهما الصمت المشوب بالقلق قبل ان يقول الشيخ محذرا :

ــ لا تستهن بفاروق الصياد .. انه قوة مدمرة ! ..

همس عابد :

ــ لا حاجة بى لفاروق .. او غيره !

قال الشيخ :

ــ فاروق هو الأصل فى كل شىء وعليك مواجهته اولا .. !

سدد الشيخ نظراته الى عابد ثم قال فجأة :

ــ الم تسمع ما قال الشيخ ابو العذين ؟

لم ينبس عابد على حين استمر الشيخ يقول :

ــ ... الملوك اذا دخلوا قرية .. افسدوها !! ..

قال عــــابد :

ــ الامام يطالبنى بالعهد !

همس الشيخ كمن يحدث نفسه :

ــ !الامام يحلم بالخلفاء ! ..

تساءل عــــابد :

ــ ألسنا أولى بالخلافة ؟!

أجاب الشيخ رفاعى :

ــ امانة لا يقوى عليها هذا الزمان الردىء ! ..

ثم قال منهيا للحديث :

ــ أراك فى الزاوية عقب صلاة العشاء ! ..

ــ ٢١ ــ

بادره فاروق الصياد وهو يفسح له مكانا الى جوازه :

ــ مرحى بالبطل ! ..

رد تحيته باقتضاب بينما عاد الصياد يقول :

ــ آن لك أن تنتقل الى دارك الجديدة ! ..

تساءل عابد :

ـــ أى دار تقصد ؟!

قال الصـــــياد :

ـــ دار عكاشة رضوان .. هى لك .. وانت رجل السبتية الآن .. ومكانك هناك ! ..

ـــ كلها أرض الله .. وتكية عثمان هى دار ! ..

تشاغل حســـن ســوكة بالنفخ فى جمرات النارجيلة وهو يقول :

ـــ عهدنا أن للحى فتوة واحد .. لا اثنان ! ..

فطن عابد الى ما فى قوله من ايماء خبيث فبادر بقوله :

ـــ ما طمحت يوما للفتونة .. ولن أبرح دارى ! ..

قال الصياد فى هدوء مريب :

ـــ للناس قول آخر ! ..

ـــ لا شأن لى بما يقول الناس ! .

ـــ أحاديثك معهم تنبىء بغير ذلك .. لقـــــاءاتك بهم فى الزاوية والتكية .. وكلامك عن الحق والعدل ..

قاطعه عابد فى حزم قائلا :

ـــ لا ولاية لك عليهم فى الدين ! ..

هتف الصياد فى حنق وقد اسود وجهه :

ـــ ولايتى عليهم حتى فى أحضان نسائهم !! ..

هب عابد منتفضا .. وقبل أن يفلت الزمام كان الشــــيخ رفاعى يلقى بنفسه بين العملاقين ويحول بينهما وبينما يقود عابدا الى داره كان فاروق الصياد يزأر :

— لا مكان لك بيننا ..

ثم لرجاله الذين تحلقوا حوله فى تحفز :

— إسمعتم ؟! فليرحل كما جاء !!

— ٢٢ —

.. لاحت فى الجو نذر المعركة الوشـيكة .. وأعلنت حالة التأهب بين رجال الصياد .. وراح التجار يغلقون محلاتهم خشية أعمال النهب المتوقعة .. وبعد اجتماع قصير مع الصياد .. توجه بعض الأعيان الى تكية عثمان فى محاولة لاقرار السلام بين الرجلين .. ولم تسـفر محاولات الوفاق عن شىء .. وراحت الأحداث تترى بصورة لم يتوقعها أحد .. ولم يكن هناك بد من المواجهة ! ..

هتف الصياد فى وحشية :

— طلق زبيدة .. وعد من حيث اتيت .. لا ينالك سوء ! ..

.. وتحطم النبوتان من هول الضربة الأولى ..

والتحم العملاقان فى صراع قاتل بالأيدى .. ظل الرجلان يدوران متماسكين لدقائق بدت وكأنها ساعات .. وحمى وطيس المعركة والجميع يرقب فى تحفز .. وعندما لاح للجميع أن عابدا بدأ يترنح كانت قبضته تهوى على جبهة الصياد الذى أخذ يدور حول نفسه كالثور الجريح .. وفى اللحظة التالية كان عابد يرفعه بذراعيه الفولاذيتين فوق رأسه — فى مشـهد بقى فى الأذهان لسنوات عديدة — ثم يلقى به على الأرض مهشما .. بلا حراك ! .

.. انعقدت الألسنة لهول تلك النهاية الباهرة .. ووقف العملاق المنتشى تغمره أشعة الشمس الذهبية .. وتنعكس على

جسده الفولاذى .. فبدا المشــــــهد أســــــطوريا ينطق بالعظمة والجلال .. انفجر الفرح عارما .. هلل الرجال من الأعماق .. وراحت السنة النساء ترسل شهبا من الزغاريد تشق عنان السماء .. وانسحب رجال الصياد قبل أن تدور عليهم الدائرة .. على حين كانت زبيدة تشق الصفوف فى هستيزيا حتى احتضنت العملاق ودفنت وجهها فى صدره .. وانخرطت فى بكاء شديد !.

— ٢٣ —

بعد النهاية الدامية لكل من عكاشــــة رضـــــوان وفاروق الصياد .. توافد على تكية عثمان فتوات الأحياء الأخرى لتقديم فروض الطاعة واعلان الولاء لفتوة الفتوات عابد بن عبد السلام. ودهش الرجال عندما طلب الاجتماع بهم فى الجامع الكبير ..

وعقب الصلاة رقى المنبر وقال :

— جئتمونى طائعين .. خير من أن آتيكم غازيا ..

وان لم تأتونى أعزة .. لجئت بكم اذلة !...

وها أنا أعلنها عليكم جميعا باسم الله القوى العزيز .. لست بفتوتكم .. ولكنى سيف الاسلام الامام عابد بن عبد السلام !!

— ٢٤ —

جاءه ابراهيم الزهيرى حاملا كفنه على راسه .. جثا على ركبتيه وانحنى حتى لامس التراب بجبهته ..

تعلقت أبصار الرجال بعابد وهو يتناول السيف القاطع من غمده ويرتكز بذؤابته على رقبـــة الزهـــــيرى .. الذى ارتعش جسده بعنف لدى ملامسة النصل لرقبته ..

ومضت لحظات بدت كالدهر حتى قال عابد :

ـــ ماذا ترونني فاعل به ؟!

صاح الرجال فى حماس :

ـــ ان قتلته فهو ثأرك ! ..

قال عابد وهو يربت على كتف الزهيرى بالسيف :

ـــ قم .. فقد عفوت عنك !

قام الرجل غير مصدق .. ومال على يد عابد يغمرها بالقبل .. على حين تعالى الهتاف والتهليل بحياة الامام العادل ! ..

ـــ ٢٥ ـــ

قالت الخادم :

ـــ سيدة تروم لقاءك ياسيدى ! ..

قال ولم تتوقف انامله عن تحريك حبات المسبحة :

ـــ اذهبى بها الى سيدتك زبيدة ! ..

عادت الخادم تقول :

ـــ تريدك أنت ياسيدى !

توقف عن التسبيح وقال :

ـــ من تكون ؟

ـــ لم تفصح عن شخصيتها !

ـــ ادخليها ! ..

تقدمت الى مجلسه في خطوات رقيقة .. متسربلة بخمارها .. وقد وشت ملابســـــها عن علو المنزلة .. نفذ أريج عطرها الفواح الى خياشيمه .. اشار لها بالجلوس على مبعدة منه .. وعندما استقرت فى مجلسها بدا حضورها قويا طاغيا .. تشاغل بالنظر الى رسومات البساط .. بينما راحت ترفع خمارها فى حركات رشيقة واثقة .. رفع عينيه الى وجه زائرته فبهره جمالها الأخاذ .. وتلقت العينان الزرقاوان نظرته المتسائلة فى ثبات على حين هتف قائلا : سبحان الله !! .. اشـــاح بوجهه بعيدا وهو ينفض عنه الضعف المفاجىء الذى تسلل الى قلبه .. ثم استعاذ بالله من الشيطان وهمس :

ــ أهلا بك .. ماذا استطيع لك ؟!

جاءه صوتها هامسا فى رقة وعذوبة :

ــ العدل !!

هزته كلمتها من الأعماق فهتف :

ما كنت يوما ظالما .. ما خطبك ؟!

عادت تهمس فى عذوبة وان شاب نبرتها عتاب خفى :

ــ الا يحق لامرأة سيد القوم ان تحيا فى هدوء .. بعيدا عن أحداث الماضى .. وأنا لا ذنب لى ؟!

اخذ بطلاقتها ودفء صوتها .. ثم راح يتفحص الوجه الفاتن بتأن بينما استقبلت نظراته فى ثبات .. وعندما طال تحديقه فى عينيها ارخت اهدابها فى خفر .. بينما تخضــبت وجنتاها بحمرة

طارئة .. وعندما استردت رباط جاشها رفعت عينيها الى عينيه بينما همس مشدوها :

ـ أنت .. سارة !؟

أكملت عبارته فى رقة :

ـ أرملة فاروق الصياد ! ..

ـ ٢٧ ـ

هتفت زبيدة :

ـ لا حق لها بالمرة ! ..

قال عـــــابد :

ـ لا ذنب لها فيما اقترفه الصياد !

قاطعته فى حدة :

ـ خلبت لبك بجمالها ودموعها الكاذبة !

هتف فى حزم :

ـ اصمتى .. لا شـــــأن لك بهذا .. لقد قررت وانتهى الأمر ! ..

ندمت على تسرعها .. وأحست بغضبته .. اقتربت منه متوددة وهمست :

ـ اعذرنى .. اغار عليك ..

أشاح عنها مغاضبا وقال فى انفعال :

ـ دعينى وحدى ! ..

بغريزة الانثى .. أحست أن هناك ما يؤرق خاطره .. همست وهى تتخلل شعره بأصابعها فى حنو :

ــ ما بك يا عابد ؟!

أجاب فى اقتضاب :

ــ لاشىء .. ارهاق لا أكثر ! ..

ــ لست عابدا الذى أعرفه ..!

ــ قلت لك لا شىء ! ..

قالت فى اشفاق :

ــ قلبى يحدثنى بغير ذلك ! ..

عاد عابد يقول :

ــ لا تشغلى نفسك بى ...

ــ كيف لا أشغل نفسى .. بنفسى ! ..

هزه قولها .. بينما عادت تقول :

ــ لم تعد كما كنت .. نومك قلق مضطرب .. دائم التوتر .. حتى فى صلاتك !

قاطعها كالمستغيث :

ــ الا هذا .. الا هذا !!

اغرورقت عيناها .. واشــرق صوتها بالدموع وهى تدفن رأسها فى صدره قائلة :

ــ اذهب اليها .. !

هتف عابد ملتاعا :

ـــ زبيدة ! ..

قاطعته فى نهنهة وهى تتشبث فى صدره كالطفل :

ـــ الشيطانة ســـكنت دمك .. اذهب اليها .. وانا حبك وملاذك !

ـــ ٢٩ ـــ

زفت سارة الى عابد فى حفل بسيط لم يحضره الا اقرب الاعوان .. وقد عمد عابد الى ذلك مراعاة لمشاعر زبيدة .. التى أبت أن تترك بيتها لتبيت عند بعض أقربائها قائلة :

ـــ لن اترك بيته الا الى القبر .. ورغم اقترانه بالشيطانة .. فانا عشقه الأول والأخير .. !

.. وفى الهزيع الأخـــــير من الليل هبت من النوم فزعة ودموعها تبلل وجنتيها وهى تهتف فى لوعة :

ـــ رغم كل هذا العشق .. لم اهبه الولد ! ..

ـــ ٣٠ ـــ

بعد انقضاء أيام العرس الأولى .. اشــــــار عليه بعض المقربين أن تبقى سارة فى بيتها .. ولكن عابدا قال :

ـــ لا والله .. هذا لن يكون .. وفى دارى متســــــع للزوجتين ..!

تلقت سارة الخبر فى ضيق ولكنها لم تجسر على العصيان .. على حين قالت زبيدة فى استسلام ودعة :

ـــ مرحبا بزوجة الحبيب.. هو زوجى وسيدى .. يفعل ما يشاء ! ..

استكانت المراتان فى كنف الرجل القوى .. وبدت تكية عثمان فى ابهى صورة .. وران الحب والوئام على الدار .. حتى زفت اليه سارة البشرى ..

هتف فى سعادة غامرة :

— حبلى ؟!

حملها بين يديه فى سعادة بينما اغرقت هى فى الضحك وهو يدور بها فى الحجرة حتى ارقدها على الفراش هاتفا :

— الحمد لله .. الحمد لله .. :

وفجأة سرى الكدر الى قلبه ووجم ثم قال فى همس :

— زبيدة .. مسكينة .. كانت تأمل ان تهبنى الولد .. !

ثم ملتفتا الى سارة :

— ساخبرها انا ..

قالت سارة :

— كما تشاء .. ولكن ..

نظر اليها مستفسرا فعادت تقول :

— ارى ان انتقل الى دارى .. وجودى معها فى هذه الحالة سيكدرها .. ولن نجنى من وراء ذلك الا الألم ! ..

صمت عابد مليا .. وراح يفكر فيما قالته .. ثم قال :

— لعلك محقة فى هذا .. ولكن دعينا لا نسبق الأحداث ! ..

تماسكت زبيدة وهى تنصت الى عابد بلا وعى .. لم تع مما قاله .. اللهم الا أن سارة تحمل فى أحشائها ما عجزت هى عنه .. وعندما ألفت نفسها وحيدة لم تعد قادرة على الصـــمود فانهارت هاتفة :

ـ يا ويلى .. يا ويلى .. !

وعندما انتقلت سارة الى دارها أيقنت أنها تكاد تفقده الى الأبد ! لم ينقطع يوما عن زيارتها .. وكان يطيل المكوث لديها .. ولكنها بدت دائما متوترة الأعصاب .. سريعة الانفعال والغضب .. وكان يلتمس لها الاعذار ويقابل ثورتها بهدوء وصبر .. ويدعو لها عقب صلواته ..

وبينما عابد يرقب بشوق وشغف استدار بطن سارة يوما بعد يوم فاجأته زبيدة بالنبأ المعجـــــزة .. كانت دموعها تنهمر بغزارة . وصدرها يعلو ويهبط من شدة الانفعال .. وجاش صدره .. وانفلتت الفرحة الطاغية فهتف من الأعماق :

ـ سبحانك يارب .. حبلى ؟!

راح يقبل رأسها وكفيها فى جنون ثم نظر الى عينيها فى وله قائلا :

ـ زبيدة .. ياحبيبة العمر .. حبلى ؟! وا فرحتاه .. ألم أقل لك ؟! مشيئة الله .. سبحانك يارب !!

وضعت سارة ذكرا .. وعندما بلغه الخبر حمد الله ثم قال :

ــ انه فخر الدين .. اجـــل فخـــر الدين عابد بن عبد السلام ! ..

وبعد شهور كانت زبيدة تضع وليدها .. ووقف عابد يحمل الوليد الباكى وقد انحدرت دموعه متخللة لحيته وهو يقول :

ــ أعطيت فأجزلت يا الله .. فلك الحمد فى الأولى والآخرة .. ثم ناول الوليد للمولدة بعد أن قبله وهو يقول :

ــ وهذا نور الدين عابد بن عبد السلام ! ..

وعندما كان يغالب النعاس فى ساحة تكية عثمان امتدت اليد الحانية تهزه برفق .. وطالعه الوجه الحبيب فهتف فى شوق :

ــ مولاى !! ..

احتضنه بقوة .. وحلق به فوق المئذنة ثم أشار الى الميدان الكبير وقال :

ــ من هنا نبدأ .. حتى نصل الى هناك ..

وتبع ذراعه وهى ترسم دائرة عظيمة ضـــمت كل أطراف مصر .. وعندما هم بالسؤال كان الامام يفرد عباءته ويحلق فى السماء .. وهو يتبعه ببصره فى ذهول حتى اختفى .. فهتف من الاعماق :

ــ مولاى الامام :

على حين كان شيخ الحارة يهمس له برفق :

ــ اقترب الفجر يامولاى !!

انتصف الليل أو كاد .. وفى الظلمة الدامسة تسلل الشبح فى خفة .. وقبل أن يدلف الى الدار تلفت سريعا حوله .. ثم غيبه الباب !

.. كانت القاعة شبه مظلمة .. اللهم الا هذا المصباح الذى يرسل أشعته الواهنة فيزيد المكان رهبة .. على حين كان الرجال المتجمعين يتصنتون فى توجس وقلق .. وعندما دلف الرجل الى القاعة أسرع الجمع اليه فى لهفة .. تقاربت الرؤوس ثم قال الرجل :

— اخشى أن يفتضح أمرنا .. !

قال آخر :

— علينا أن نقرر سريعا .. سلاحنا هو المباغتة !

— ماذا ترون اذن ؟!

— لا خلاص منه الا بالقتل ! ..

صاح الرجل فى ذعر :

— ومن يجرؤ ؟!

— لا حيلة لنا .. حياتنا وتجارتنا رهن بموته !

همس آخر :

— اجل .. ان أولادنا يتمثلون به !

— والنساء يحلمن به !

— لهذا .. لا حياة لنا الا بموته ! ..

عاد الرجل يهمس :

— ولكن .. من يجرؤ ؟!

— لهذا نحن هنا .. لنقرر ! .. !

— ٣٥ —

هتف شيخ الحارة فى رعب !

— أتعى ما تقول ؟!

قال ابراهيم الزهيرى محذرا :

— اخفض صوتك يارجل !

— لا قبل لكم به !

— لهذا انت هنا ! ..

تلفت شيخ الحارة فى وجوه الأعيان الذين يحدقون فيه بينما عاد الزهيرى يقول فى اغراء :

— ستكون لك الحظوة .. والمال .. والجاه ! ..

قال شيخ الحارة وهو يبتلع ريقه فى صعوبة :

— ولكن كيف ؟! هذا مستحيل ! ..

— عليك اقناعه بقبول دعوتنا ! ..

— لن يقبل .. أنتم تعرفونه ..!

تناول الزهيرى صرة القماش من جانبه ووضعها أمام الرجل فى اناة وتمهل وهو يقول :

— سيكون الدار الفخمة .. وتجارة رائجة .. ومن النساء ما تشتهى !

قال آخر :

ــ وايضا الفتونة !! ..

سال لعابه وهو يرمق صرة الأوراق المالية ثم همس في تردد :

ــ ولماذا .. أنا .. بالذات ؟!

قال الزهيرى وقد تمكن منه :

ــ الست ممثل الحكومة ؟! من يطعن فى شهادتك ؟!

مد يده يتحسس الصرة المنتفخة ثم قال فى صوت متهدج :

ــ متى ؟!

ــ ٣٦ ــ

ــ ما كان لك أن تقبل دعوتهم ! ..

قالتها زبيدة وهى تمشط لحيته .. بينما سارة تضع العباءة على منكبيه .

قال وهو يدس قدميه فى خفيه :

ــ لن أتغيب طويلا .. ثم ان حاجة الفقراء فوق مشاعرى تجاه الأعيان .. !

وقبل ان يتجه الى باب الدار سأل بابتسامة حانية :

ــ أين الولدان ؟!

اجابت سارة :

ــ نائمان بالداخل !

شيعتاه الى الخارج وهما لا تكفان عن الدعاء له .. حيث كان فى انتظاره شيخ الحارة وابراهيم الزهيرى ! ..

— ٣٧ —

وقعت سارة مغشيا عليها حال رؤية الموكب القادم .. بينما صرخت زبيدة من الأعماق :

— ويلاه .. !

وعندما كان الرجال يرقدونه فى فراشه أشار الى زبيدة أن تقترب منه .. كان صـــدره يعلو ويهبط فى سرعة وهو يحاول التقاط أنفاسه بصعوبة .. وقد اتسعت حدقتاه بصورة غريبه .. مالت زبيدة على صدره على حين راح عابد ينتزع الكلمات من بين فكى الموت :

— خذى سارة .. والولدين .. الى البلدة .. التى حدثتك .. عنهـــا !

— ٣٨ —

اندفع ابراهيم الزهيرى وقد بدا عليه وكأنما يفر من ملك الموت .. ران الصـــمت فجأة بعد أن كانت القاعة تصـــطخب بالضـــحك والمجون .. وراح الجميع ينظرون الى هذا الوجه الشاحب والعيون الجاحظة .. وهتف الزهيرى فى رعب قاتل :

— لقد رأيته .. الآن .. توا !!

تساءل أحد الأعيان فى دهشة :

— رأيت من ؟!

— عـــــابد !!

أطاح الاسم بالسكينة التى رانت على قلوبهم .. وبدا الرعب الهائل مجسما فى الوجوه المحتقنة من أثر الشراب .. قال أحدهم فى حشرجة :

ــ عابد ؟! أجننت ؟! لقد دفن منذ شهور .. أمام أعيننا !

عاد الزهيرى يهتف بلا وعى :

ــ أقول لكم رأيته فى الميدان .. لمحنى فتبعنى .. !

وفى محاولة منهم لاستيعاب هذيان الزهيرى خرج صوت شيخ الحارة وكأنما يأتى من القبر :

ــ أجل .. انه عابد .. لقد لمحته منذ ليالى قبل صلاة الفجر ولكنى لم أصدق عينى !!

ــ ٣٩ ــ

.. فى غبشة الصباح الباكر .. كان أول ما تلقته الحارة من أنباء .. تلك اللوثة التى أصابت ابراهيم الزهيرى والقاء نفسه فى النيل .. !

وقبل أن ينتصف النهار فجعت الحارة بالعثور على شيخ الحارة مشنوقا فى غرفته ! ..

***

بينما كان الشيخ رفاعى يخطو بخطى وئيدة وهو يستند الى عصاه عائدا الى داره عقب صلاة الفجر .. أحس بمن يقترب منه فى خفة .. مد بصره الكليل محاولا التعرف على القادم .. حين جاءه صوت حبيب الى نفسه :

ـــ السلام عليكم ورحمة الله ! ..

هتف الشيخ من أعماقه غير مصدق :

ـــ أنت ؟! هل عدت حقا !؟!

اسرع بقدر ما سمح له عمره فى محاولة للحاق به حتى ألفى نفسه أمام تكية عثمان .. فنادى على عابد بصوت يشرق بالدمع ..

ثم تذكر الولدين اللذين اختفيا مع المراتين ..

فأشرق وجهه وهو يتمتم عائدا الى داره :

ـــ الله اكبر .. انها البشارة .. هى البشارة !

« تمت »

أوراق منســـية
مــن تــاريخ
يحيــى بن جعفــر

حكاية يحيى بن جعفر

— ١ —

.. من لا يحب .. لا يعرف .. !

.. وفى لحظات العشق الفياض تنداح الظلمة فى نور الكشف المبهر .. ولا تحتمل النفس السر الأعظم .. ويصير القلب سراجا وهاجا ترصده الأعين على مبعدة ملايين السنوات الضوئية .. تتساقط ذرات الطين قطرات من نور لا كونى .. تتوحد انوار الأكوان ولا نملك الا أن تسجد .. !

— ٢ —

— « يا يحيى » .. !

تفجر ينبوع الشوق المجهول .. وخر الجسد صعقا والصوت الغامض يتسلل الى جوانحه آتيا من كل الأمكنة .. وبقى لحظات مغمضا عينيه .. خشية أن يرى ما لا يرى .. جاءه الصوت ثانية فى رقة مشبعا :

— يايحيى .. قم ولا تخف .. ابسط يديك ولا تراع .. !

انعقد لسانه وهمس بقلبه :

ـ النور يعميني .. !

احتواه الصوت فيضانا من نسيم معطر كان بردا وسلاما :

ـ ما بعينيك ترى .. أتبع النور .. يهدك الطريق ! ..

.. لم يعقه شيء .. راح يخترق الحجب في يسر .. بدت له الدور والجدران والأسوار كغلالات الحرير ينسل منها كالشعاع .. غمره شعور مفعم بالسعادة والانبهار .. بدا للحظة الأولى مترددا ثم اجتاحه احســـــاس بالقوة الهــائلة التى تومض فى شرايينه فأطلق لروحه العنان .. وأنطلق محلقا حتى جاوز هلال المئذنة السامقة .. أخذ يدور فى حلقات دورات متتالية منتشيا بطرافة منظر المدينة النائمة .. ثم انعطف يلاحق النور الذى كان يشق ظلام الليل ميمما شطر الصحراء ..

.. ود لو بقى محلقا الى مالا نهاية .. وفى نشوة الانطلاق والتحرر .. راح يرقب تعاقب الليل والنهار .. وتتــابع الظلمة والنور .. ويسبق الشمس فى الشروق ثم يتمهل حتى تدركه فى الغروب .. والنور لا يفنى .. والشوق لا ينقطع .. والحب لا يبلى .. والعقل لا يضل .. والروح لا تظمأ .. والقلب لا يدركه الموت .. !

.. وعى لحظة الوصول حين تحوطته آلاف الطيور البيضاء تناجيه وتهف عليه بأجنحتها الشفافة .. حانت منه التفاتة الى يمينه فهاله الوجه الفاتن الذى لم ير له مثيلا وهو يبتسم ويسبل جفونه فى حياء وخفر .. هتف من الأعماق فى نشوة :

ـ سبحان الله .. !

— ٣ —

— ما بك يابن جعفر ؟!

انتبه من شروده على صوت جليســـــه وهو يناوله كوب القرفة .. همس فى ضجر :

— لا أدرى يا أخى .. !

قال الرجل وهو يرمقه فى تعجب :

— لست كعهدى بك .. هناك ما يشغلك !

أشاح يحيى بن جعفر بيده فى سأم :

— لا شىء .. ذى بال .. لعله الارهاق ! . .

— أو الشوق ؟!

« آه .. من هذا الشوق العاصف الى .. لو تدركون ؟!! »

هتف صاحبه فى ظفر :

— هو اذن .. ألم أقل لك ؟!

تساءل ابن جعفر وهو يعجب لحماس صاحبه :

— ماذا تعنى ؟!

اجاب صاحبه بلهجة موحية :

— أكاد أجزم أن ما بك ليس الا الشوق الى المشـــــوقة الغائبة .. !

— ... صفية ؟!

— ها أنت تقولها .. !

« ... أنى للطين أن يدرك انه طين ؟!! »

ابتسم ابتسامة بلا معنى على حين راح صاحبه يقول :

ـــ الليلة الكبيرة الخميس القادم .. وستجدها فى الشادر أمام المقام ! ..

وقبل أن يسترسلا تناهى اليهما صوت حاد .. بدأ منفردا ثم تلاه آخر .. وتداخلت الأصوات فى تناغم مزعج .. نهض صاحبه مهرولا خارج المقهى وغاب لحظات ثم عاد يقول فى أسى :

ـــ لا حول ولا قوة الا بالله .. مات الشماشرجى ! ..

ـــ ٤ ـــ

اكتظ السرادق الضخم المقام أمام دار الشماشرجى بالمعزين .. وبدا الجمع الحاشد مزيدا وقد اختلط العامة وكبار التجار والبكوات .. وبالقرب من مدخل السرادق جلس يحيى بن جعفر وقد أغمض عينيه فى شبه اغفاءة واحتواه تيار من السلطنة الداخلية .. فراح يهز رأسه بلطف متناغم مع صوت القارىء العذب .. وسرى داخله تيار من السكينة الغير مسبوقة .. تحول فى لحظة مشبوبة بالوعى المفقود الى موجة من الشوق المجنون .. لطمته فى عنف فانتفض كالملدوغ ميمما شطر الشيخ القارىء وهو يهتف فى جنون :

ـــ ماذا قلت ؟ .. ماذا قلت ؟! ..

كان الرجل يتلو من سورة الواقعة حين وصل الى : « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » .. بوغت الشيخ فتوقف عن التلاوة فى ذهول على حين كان ابن جعفر قد وقف قبالته هاتفا :

ـــ أعد ما قلت بحق الله ..!

تراجع الشيخ فى فزع وهو يقول :

ـ ... وحور عين ... !

صاح ابن جعفر :

ـ أجل .. هى ما رأيت .. هى ما رأيت .. !

مرت لحظات وكأنها دهر .. والجمع الحاشـــــد يحملق فى دهشة .. ثم وفجأة اندفع الطوفان تجاه مجلس الشـــيخ وقد امسك يحيى بن جعفر بذيل ردائه بلا وعى مرددا :

ـ هى ما رأيت .. الحور العين .. هى ما رأيت .. !

وقبل أن يسقط تحت وقع الضربات تعالى صوت فى نبرة آســـفة :

ـ جن يحيى بن جعفر ! ..

ـ ٥ ـ

... تلاشى الصخب فجأة .. وبدت الملامح الغاضـــبة المجنونة والأيدى اللاطمة مشـــــهدا عبثيا بلا معنى .. تراءى له الوجه المحبوب يبتسم فى حنو .. هامسا بعذوبة :

ـ صدقت يايحيى .. أنا ما رأيت ..!

هتف بكل الشـــوق والوعى ينســـــل منه مغالبا غيبوبته المحتومة :

ـ خذينى اليك .. !

استسلم للخدر اللذيذ الذى احتواه فى رفق .. وقبل أن يغمض عينيه تمتم قلبه :

ـ أدركتك بروحى .. وعقلى يقصر عن المعنى ! ..

— ٦ —

صاح عيسى البابى بصوت يملؤه القهر :

— حيل بينه وبينى .. !

ثم وهو يكاد يبكى :

— لم أقو على المقاومة .. انتزعوه من أحضانى .. !

أجهش بالبكاء منكفئا على المنضدة بينما قال الليثى صاحب المقهى فى صوت كالنواح :

— لهفى عليك يابن جعفر .. لم يرحموا ضعفك .. !

قال النادل وهو يضرب كفا بكف :

— حملوه الى قسم الشرطة بين الحياة والموت ..!

أطبق الصمت على المقهى .. وخيم الحزن على الحضور .. وبدا الجو غريبا على المكان الذى كان يضج بالصخب والضحكات حتى الفجر ..

وفجأة انبعث من ركن المقهى صوت تشى نبراته بغير قليل من التشفى :

— يرحمك الله يا شماشرجى .. لم تقو عليه حيا .. ما فانتقمت مقبورا .. !

هب عيسى البابى من مقعده فى خفة الفهد هادرا :

— ماذا تعنى أيها الحقير ؟!

نهض الرجل محتميا بكرسيه وهو يقول :

ـ اعنى ما أعنى .. مابك أنت ؟!.

هجم البابى ممسكا بتلابيب الرجل .. فاسـرع الرجال يحولون بينهما على حين صرخ البابى :

ـ ياحقير .. يا دون .. !

هتف الليثى فى حدة وبحزم :

ـ لا مكان عندي للأوباش .. اخرج .. ولا تعد ثانية ..

ثم عاد يربت على كتف البابى :

ـ لا عليك يا عيسى .. انه مسطول .. لا يعى ما يقول ! .

قال البابى فى صوت متهدج :

ـ لم يكفهم ما أصابه .. يريدون تلويث شرفه !! ..

تجهم وجه الليثى وهو يقول :

ـ أخطأ يحيى بن جعفر ولا شك .. لاداعى للمكابرة .. !

ـ أعرف انه أخطأ .. ولكنى أدرى الناس به .. لم يكن فى وعيه ..

همس الليثى ومازال على تجهمه :

ـ لم نعهد فى ابن جعفر تعاطى الكيف .. !

قال عيسى البابى فى حدة :

ـ ما لهذا قصدت .. كلنا نعلم أنه لم يقرب الكيف فى حياته ..

قال الليثى فى تساؤل :

ـــ قلت أنه لم يكن واعيا ؟!

ـــ هو ما قلت .. كان غائبا فى عوالم اخرى .. كان ..

ثم مادا ذراعيه وقد بدا عاجزا عن الفهم والشرح :

ـــ والله ياليثى ما ادرى ما أقول .. أنا نفسى لم ادرك ما به ! ..

تقدم النادل منهما .. ثم قال بعد تردد :

ـــ لعله .. أتقصد انهم يقولون ...

نظر اليه الليثى بامعان متسائلا :

ـــ ماذا تريد أن تقول ؟!

مال النادل بجذعه الى الامام هامسا :

ـــ يقولون .. انه .. مخاوى .. !

تساءل الليثى فى استنكار موجها حديثه الى عيسى البابى :

ـــ مخاوى ؟! أيعقل هذا ؟!

أجاب عيسى فى استهانة :

ـــ هراء .. واشاعات خبيثة .. !

تشجع النادل فعاد يقول :

ـــ يقولون .. « وضغط على مخارج اللفظ تأكيدا على أن هذا ليس بقوله » انه على اتصال بالعالم السفلى ويأتى بأفاعيل عجيبه .. !

تساءل البابى فى هدوء مريب :

ـــ وماذا أيضا ؟!

تردد النادل على حين هتف الليثى حانقا :

ـــ وماذا أيضا ؟! تكلم .. !

قال النادل :

ـــ يقولون انه يتجول ليلا فى جسد قط ... والشيخ عمران يقسم انه لمحه ذات ليلة قبيل الفجر بوجهه الوسيم وجسد قط أسود مائدا من ناحية دار الشماشرجى .. !

اتسعت عينا الليثى متسائلا :

ـــ الهذا يقولون .... !

قاطعه النادل :

ـــ بلى يا معلمى .. لقد فتنت به منيفة هانم حرم الشماشرجى وكان يتسلل اليها كل ليلة .. !

هتف عيسى البابى :

ـــ عالم .. انا لم أفارقه ليلة واحدة .. ننام معا فى نفس الحجرة ..!

قال الليثى :

ـــ يقول فى جسد قط ! ..

ـــ ياناس .. أتصدقون هذه الخرافات .. ؟! جسد قط ؟!

عاد النادل يقول فى تأكيد :

ـــ الا تصدقنى ؟! اذن .. سل عثمان العلاف .. !

نهض عيسى البابى قائلا فى حزم :

ـــ كفى .. سأذهب لرؤية ابن جعفر فى القسم ! ..

اتجه الى الخارج فى خطوات واسعة على حين هتف الليثى :

ـــ انتظرنى يا بابى .. سآتى معك ! ..

لم تفلح جهودهما فى لقائه .. وتطوع أحد العسكر من معارف الليثى بتقديم العون والمشورة ثم أنهى حديثه قائلا :

— ان شئتما لقاءه .. فليكن صباح الغد .. عند ترحيله الى النيابة العمومية ..

صاح عيسى البابى محتجا :

— النيابة العمومية ؟! .. لم ؟! ماذا فعل يا ناس ؟!

أجاب الرجل فى نبرة اعتذار :

— لا علم لى بهذا ..

تساءل الليثى :

— كيف حاله الآن ؟! ..

— انه بخير .. ويبدو عليه الهدوء ..

عاد الليثى يسأل :

— ألا يمكننا ادخال بعض الأطعمة اليه ؟!

أجاب الرجل فى ابتسامة موحية :

— لا تقلقا عليه .. فقد جاءه طعام فاخر وبعض الأغطية .!

تساءل عيسى فى عجب :

— طعام وأغطية ؟! ممن ؟!

قال الرجل وابتسامته تزداد اتساعا :

— لا ادرى .. ولكن يبدو أن صاحبكما محل اهتمام بعض الاكابر !!

ضرب الليثى كفا بكف وهو ينظر الى عيسى قائلا :

ــ اسمعت يابن البابى .. اهتمام الاكابر .. هه ؟!

ثم موجها حديثه الى الرجل مناولا اياه سيجارة :

ــ افصح يا اخى ..

قال الرجل وهو يزدرد الدخان فى نهم :

ــ صدقنى يا معلم .. لا اعرف من .. ولكن العربة المذهبة ذات الخيل المطهمة التى اقلت الجارية الرومية والأطعمة ...

قاطعه الليثى بانبهار :

ــ عربة .. وجارية رومية .. يابن جعفر .. ؟

ثم محييا الشرطى .. ساحبا عيسى البابى الذى الجمته المفاجاة .. متجها صوب الشارع العمومى .. قائلاً فى سخرية لاذعة :

ــ الاكابر ؟! جارية رومية .. وعفيفة هانم .. آه منك يابن جعفر ..

.. ثم صائحا :

ــ ... ومى جسد قط ؟!!

ــ ٨ ــ

ازاح الأوراق التى أمامه .. اعتمد ذقنه بين كفيه وراح ينظر الى الفراغ الذى امامه .. مرت لحظات وهو مستغرق فى التفكير .. اعتدل قائلا :

ــ هات المتهم ..

* * *

اشار اليه بالاقتراب .. ثم موجها خطابه الى السكرتير الجالس عن يساره دون النظر اليه :

ـــ أنه فى ساعته وتاريخه ...وبحضورنا نحن حسن عثمن .. وكيل النيابة ..

.... « هذه النظرة الوادعة .. وهذا الوجه .. !! »

ـــ اسمك ؟!

ـــ يحيى بن جعفر .. !

ـــ عمرك ؟!

ـــ ثلاثون عاما ..

... « ياربى ... نفس النبرات .. ولكن أين .. ومتى ؟! » ...

ـــ الم نلتق من قبل ؟!

ـــ كلا ياسيدى .. !

.. حاول أن ينأى بنفسه عن هذا الهاجس الغامض الذى يحتويه .. قال وكأنما يعتذر مقدما عما يقول :

ـــ أنت متهم يايحيى بالتعدى واثارة الشغب فى سرادق عزاء المرحوم الشماشرجى بك .. واتلاف ممتلكات المدعو عيد المرجوش صاحب فراشة المرجوش ..

قال ابن جعفر فى هدوء :

ـــ لم يحدث ياسيدى ..

ـــ ماذا حدث اذن ... ؟

ـــ لا ادرى ... !

ـــ اكد الشهود قيامك بالاعتداء على المقرىء ..

ـــ لقد سمعت مالم يسمعوا .. ورأوا مالم يحدث .. !

نظر اليه فى غرابة ثم قال :

ـــ ماذا تقصد ؟!

ـــ انا رجل بسيط ياسيدى .. ولم اعمد الى الايذاء او اثارة الشغب كما يدعون .. !

ـــ وبم تفسر تصرفك هذا ؟!

ـــ سكر القلب بعذوبة الرؤيا .. وتمثل المعنى فى تيار من الشوق الى المضمون الاسمى !!

اتسعت عينا المحقق دهشة .. هتف فى استنكار .

ـــ اتعى ما تقول ؟! .. انك تهلوس !!

قال ابن جعفر فى ثبات :

ـــ ما اقول الا الحق ! ..

ـــ معك محام ؟!

ـــ لا ياسيدى ..

ـــ لم ؟! ..

ـــ ... ولم ؟! ...

سدد اليه بصره وراح يتأمله فى تأن .. اخذ بتلك النظرات الغريبة .. شعر بالانجذاب وكأنما يهوى الى أعماق سحيقة

لا نهاية لها .. جاهر فى الارتداد بشدة .. أنفاســـــه تتلاحق بصورة غير عادية .. ضاق صدره وكأنما يصعد فى السماء .. تمكن من الفكاك لخطة أن تحول بصر يحيى بعيدا .. هتف وهو يشهق مما جعل السكرتير ينتفض رعبا :

ــ يحول المتهم الى الطبيب الشرعى لبيان حالته العقلية والنفسية .. وما اذا كان يتعاطى أية أنواع من المخدرات .. مع استمرار حبس المتهم خمسة عشر يوما ..

.. اشــــار الى الحارس المرافق للمتهم على حين همس للسكرتير فى ارهاق وشرود :

ــ ويراعى التجديد فى الميعاد ..

ــ ٩ ــ

.. أيقظه الصوت النحاسى .. راح يغالب غيبوبة النعاس وهو لا يكاد يتبين العملاق المنتصب أمامه متسائلا :

ــ انت عيسى البابى .. ؟!

اجاب فى وهن :

ــ أجـــــل ..

ــ اتبعنى .. !

... تبعه فى خطوات مترنحة كالمسحور .. عبر الحارة الغارقة الظلام وهو يكابد مشقة الاتزان فوق أرضيتها البلاطية المتكسرة .. انحرف يسارا ثم يمينا .. والعملاق الزنجى يخطو أمامه فى ثبات وسرعة .. حينما أشرفا على الميدان النائم هتف عيسى البابى :

ـ اسمع .. الى اين نحن ذاهبان .. ؟!

التفت اليه الزنجى ورمقه بنظرة ميتة .. ثم تابع سيره دون أن ينبس .. استجمع البابى قواه وجاهد فى السير حتى لامس العملاق قائلا :

ـ أجبنى .. الى أين تأخذنى .. ؟!

أجاب فى نبرة حادة عالية دون أن يلتفت اليه :

ـ الى حفل زفاف صديقك !

صاح البابى فى دهشة :

ـ زفاف ؟! أى زفاف .. وأى صديقك .. ؟

قال العملاق :

ـ الست عيسى البابى .. ؟

ـ .. بلى .. !

ـ أمرنى سيدى أن أحملك اليه .. !

نفذت رائحة الأعشـــاب والهواء العبق بعبير النهر الى خيشومه .. نظر حوله فى تخوف وقلق بينما قال الزنجى مادا يده :

ـ تعـنـــال ! ..

حمله فى خفة وغاص بأقدامه فى الماء .. لم ينبس عيسى وقد عقد الخوف لسانه وأسلم أمره الى الله .. بينما سار العملاق فى النهر حتى وصـــل الماء الى خصره .. ثم رفع البابى بيديه الفولاذيتين ووضعه وسط القارب .. صـــعد بخفة .. تناول المجدافين وراح يحركهما فى ليونة ويسر ..

.. لم يعد يسمع الا صوت ارتطام المجاديف بسطح الماء .. وبدا العملاق الزنجى متحدا معالظلام الدامس بصورة مدهشة . همس البابى فى وجل :

ـــ لم تقل لى يا أخى .. من سيدك ؟!

أجاب فى رتابة :

ـــ صـــــديقك .. !

ـــ ومن صديقى هذا ؟!

ـــ ســـــبدى .. !!

.. وقبل أن يفتح البابى فاه .. قال العمـــــلاق فى نبرة باسمة :

ـــ يحيى بن جعفر .. !

* * *

... وكأنما مر عليه دهر وهما فى مجرى النهر .. عاد يتساءل فى قلق :

ـــ أين نحن الآن .. ؟

أجاب الزنجى :

ـــ أوشكنا على الوصول .. !

لم يكد الرجل ينتهى من حديثه حتى أهتز القارب بشدة .. وراح ينحدر الى أسفل فى اندفاع رهيب .. صرخ عيسى وقد شعر أن روحه تنسحب منه .. حاول قدر طاقته التشبث بالقارب بينما انفجر الزنجى فى ضحكة هائلة مصفقا فى جزل .. وفجأة

استوى القارب ثانية وراح يتهادى على سـطح الماء بينما قال الزنجى :

ــ ها قد وصلنا .. !

كان عيسى مكوما فى قاع القارب .. يلهث بصوت مسموع .. اعتدل معتمدا على كفيه وركبتيه ميمما بصره شطر القصـر الشامخ القائم وسط الماء تغمره الأضـواء الباهرة التى تغشى الأبصار .. فغر فاه غير مصدق لما يرى .. تمتم فى ذهول :

ــ يارب السماوات .. ما هذا ؟! ما كل هذا ؟!!

حمله العملاق الى المرسى المقام أسفل القصر .. سار به صوب المدخل ثم أنزله برفق مخاطبا بعض الخدم :

ــ خذوه الى المغطس .. !

ــ ١٠ ــ

اسـتسلم للأيدى المدربة التى تلقفته .. اغمض عينيه فى استرخاء .. غابت الحواس مع تيار الماء الساخن المتدفق بلا انقطاع .. انتهى الحمام وأعقبه التضميخ بالمسك وماء الورد .. وانتقل مسربلا بالمناشف المعطرة الى قاعة الملابس ..

لم تبدر منه بادرة اعتراض على ما ينتقونه .. ارتدى ما قدموه له كالمأخوذ .. قادوه الى قاعة المرايا .. جاهد أن يجد نفسه فى هذا الماثل أمامه يرفل فى ثياب السلاطين .. لم يفلح .. وأيقن أن عيسى البابى قد رحل بلا رجعة ! أشار له أحد الموالى أن يتبعه .. سار خلفه بلا ارادة .. وبلا عقل .. اجتاز عدة قاعات حتى أشرف على القاعة الكبرى .. ولجها كالمسلوب ..

.. امتدت اليه الكف البضة المخضبة تأخذ بيده .. والصوت الأنثوى الخلاب يهمس فى دلال :

ــ تعال .. أنت رفيقى الليلة .. !

.. نفذ الصوت المتدلل من مسامه الى عروقه .. اندفع طوفان الدم الساخن الى يافوخه مكتسحا كل تاريخ الفضيلة وتداعيات الحرمان فى حياة عيسى البابى .. !!

ــ ١١ ــ

... أفاق قبل الظهر بقليل .. يمم شطر المقهى بلا تفكير .. ألقى بجسده فوق أول مقعد صادفه .. ما ان لمحه النادل حتى أسرع اليه بكوب القرفة .. بدا شاردا .. لا يعى ما حوله .. لم تفلح جلبة الميدان وقعقعة العربات الكارو وضجيج السابلة فى شد انتباهه ..

ومن ركن المقهى .. لمحه الليثى فقام متجها اليه .. جذب كرسيا وجلس قبالته محدقا فيه بغرابة :

ــ ما بك ياعيسى ؟!

ــ لا شىء يا معلم ليثى ..

ــ لم تنم جيدا .. ؟

ــ يبدو هذا .. !

همس الليثى :

ــ وأنا أيضا .. أكاد أنهار من شدة التعب، .. لم أنم منذ بارحنا الحفل !! ..

تنبه الى قول الليثى .. حدق فيه بشدة متسائلا :

ــ ماذا .. ماذا قلت .. ؟

ــ لم أستطع النوم منذ الأمس .. !

ــ أى أمس ياليثى ؟!

أجاب الليثى فى تثاقل :

ــ منذ بارحنا الحفل .. !

عاد عيسى يقول ودقات قلبه تنبىء عن كارثة :

ــ أى حفل تقصد ؟!

رد الليثى فى عفوية :

ــ حفل ابن جعفر .. !!

ــ ثم ضاحكا

ــ كان حالك حال مع تلك المرأة الجهنمية ... :

.. « يارب السموات .. هو الجنون بعينه .. ! »

قال عيسى وكأنما يأتى صوته من زمان سحيق :

ــ أجل .. كانت ليلة لا تنسى .. !

تنبــه الليثى الى نبرة عيسى التى بدت غــريبة وتوحى بالخوف :

ــ ليلة مليئة بالغرابة ..

صمت قليلا قبل أن يهمس فى قلق .. وقد بدت مخايل الجنون تلوح فى عينيه :

ــ كنا معا .. أليس كذلك ؟!

ـــ بلى .. أيعقل هذا ؟!

ـــ ولكن .. أين كنا ؟!

ـــ لست أدرى .. ولكن الشىء المؤكد أننا كنا معا .. فى مكان وزمان لا يمتان لنا بأى صلة .. !

قال الليثى فى هلع :

ـــ كان معنا يحيى بن جعفر ..

همس البابى في نظرة الموتى :

ـــ كنا مع يحيى بن جعفر .. !!

ـــ عرســـــه ؟! ..

ـــ أجل .. وكل أبناء الحى ..

... لاحت نظرة الموتي فى عين الليثى وهو يقول :

ـــ سأذهب لرؤية ابن جعفر ..

قال عيسى فى ابتسامة بلهاء :

ـــ هل تراه يترك عروسه صبيحة زفافه ؟! ..

* * *

انتهت

هـذه الروايـة ..

بقلم : محمد قطب

— ١ —

مع أن الواقع بانفساحه وتنوعه يعطي ثراء للعمل الأدبي الا أن الكاتب أحيانا يلجأ الي الإفادة الإسطورية أو محاولة بناء نص يتسم بالأسطورية . والسبب فى ذلك ناتج عن ان الأســطورة تساعد في كثيف الرؤية الفنية والفكرية والانسانية للواقع .. فهى تعطيه المعني العميق وتضيف اليه ثراء الدلالة .. وتلونه بظلال من السحرية ذات الطابع الغرائبي المدهش .. ومن ثم يضحي التلازم قائما بين الواقع والأسطورة .. وتتحول الشخصية في العمل الأدبى الي عالم يتمدد ويتجاوز المألوف ويتحرك وفق معطيات لها غرابتها واختراقها ومن ثم يصبح الشكل — الضخامة ، مرتبطا بالأداة — القوة ، وسيلة الى الفعل/الحق . ثم ليحمل فيما بعد رمز المخلص الذي يملأ الأرض عدلا .. وتتجلى هذه المعاني فى الروايات ذات الطابع الدينى أو الصوفي حيث تتعدد الرؤى تجاه الذات وتتباين وجهــات النظر حول الفعل المدهش ثم تتحدد الرؤية عبر التسليم والانقياد أو نحو التحرر والانطلاق .

ومثل هذا النوع من الكتابة التى تلجأ الى الافادة الأسطورية فى الذات أو التركيب الدلالى ، أو التضمين الرمزى لمفردات بعينها انما تسعى الى عالم فنى متواز ومتقاطع وممتزج مع الواقع المشهود « تختلط فيه حدود الممكن والمستحيل وتمتزج فيه مستويات الخيال بالواقع ويصبح العمل بأكمله استعارة كبرى تكشف عن دلالة أساسية » .

والرواية التى نحن بصدد الحديث عنها تحاول أن تثير فينا الشعور بالحس الأسطورى . فمع أن الأحداث والمواقف ووقائع الرواية ذات بعد واقعى الا أن الرواية سعت الى امتزاج الواقع بظلال أسطورية عبر تحريك الخيال الشعبى ، واتخذ الكاتب سمت « الراوى » المنفصل عن وقائع النص مع أن له سطوته وتحكمه فى الوقت ذاته .. وانطلاقا من ذلك فانه اختار للعمل شكله البنائى الخاص به ولغته ذات الطابع التراثى لتتلاءم مع وجهة النظر التى ارتضاها والتوجه الدلالى الذى يقصد اليه قصدا .

وتجلت رؤية الكاتب فى نظره ورسمه للشخصية الرئيسية ، اذ أعطى للشخصية العمق الانسانى والنفاذ القيمى ووصل فى تحديد سماتها الشكلية والخلقية الى النقطة العليا مما جعلها تقترب من المجال الأسطورى فى بعده الأقصى حيث وشت بكل عطاءات الخير وحملت رمز الفداء وأشاعت البحث عن العدل .

وهذا الانسان الذى لبس معنى الخير المطلق تحول الى نموذج نفتقد تواجده فى الواقع المشهود .. وتلك الايجابية المتواصلة تفقد الذات حيويتها ووهجها الفنى أيضا . فى رواية « سيرة الامام عابد بن عبد السلام .. تتوالى الأساطير حول سلوك الولى .. وهو موروث شعبى قديم له جذوره الضاربة فى

فترات زمانية ساد فيها الحس الدينى الغيبى ، وحمل الخيال الشعبى « الولى » رموز الفداء والخلاص ازاء قسوة الواقع وقمع الولاة ويبدأ الحس الشعبى الأسطورى منذ سطور الرواية الأولى .. ووشت غرائبية السلوك بامكانية تجاوز الواقع وتحقيق المحال . وتتعددت احتمالات التوصيف . فهو شرب من البحر وهو نائم ، واذا تريض « تفر الضوارى ويانس اليه المستضعفون من الأغنام » تهرب منه الأفاعى وتلتمس التماسيح لها طريقا مغايرا .. فى الثانية عشرة أدار الساقية بذراعيه ، وفى السادسة عشرة حمل حجر الطاحونة الضخم وفى التاسعة عشرة رفع الثور وأطبق على رقبته ..

لقد جمع « الرجل » الخارق بين روحانية لها اشعاعها النفاذ وقوة مبكرة خرقت المألوف مما أثار المخيلة الشعبية فى اضفاء ظلال من الأسطورية على شخصية « عابد » .

وتناميا مع هذا الخيال تعددت الروايات الخاصة بالنشأة ، وهو تعدد يضفى على الشخصية بعدا غرائبيا متواصلا .. فمن قائل « التقطه بعض السيارة من قاع البئر » أو « وجدوه رضيعا فى حراسة الأفاعى ، أو هبط به السيل من قمة الجبل .. » « ووجد طافيا على لوح من أخشاب لا وجود لها فى تلك المناطق ».

لقد صنع الكاتب للبطل هالة أسطورية صنعتها المخيلة الشعبية ، وأبان عن المعنى العميق الذى يحتوى النص من خلال العبارة التالية « تفر الضوارى ويانس اليه المستضعفون من الأغنام » .. لقد حفلت العبارة بالدلالة المقصودة ووشت بالثنائية التى تحكم العمل كله .. الظلم/العدل . الضوارى/المستضعفون .. لقد أباحت الألفاظ بالدلالة . فالضوارى تكشف عن التوحش

والعنف والدموية وهى ظلالات توحى بالطغاة وما يتسمون به من قمع وظلم .. كما تبوح كلمة « المستضعفون » بظرف الثنائية ، الفقراء وأصحاب الحاجة وفاقدى الشرعية فى الحرية والتعبير .. ولقد كرست كلمة الأغنام » المعنى .. بما تمثله من انقياد فى شكل القطيع الذليل .. وارتفعت الدلالة بكلمة « يأنس » حيث تكشف عن الجانب الذى يقف فيه عابد ومع من .. وبرز التناقض بين نفر ويأنس ليؤكد على عنصر الفعل المؤثر فى جدل الثنائية بما يزيح محور القمع والطغيان فيحل الأنس والايناس والسكينة ويصبح آلة الانسان الى تحقيق الايناس والسكينة هو القرب من الله والتمسك بتعاليمه ، والوقوف مع الفقراء .

— ٢ —

كفل الشيخ الزاهد « عبد السلام » الطفل الرضيع ، وتغيرت أحواله بكفالته له وظهرت علامات الولاية . فأحس الشيخ « بتيار من السكينة يغمره لم يألفه من قبل » وكان وهو يرنو الى الرضيع تجتذبه « عينا الرضيع الباستمان فلم يستطع لعينيه تحويلا » .. لقد جيء بالطفل اليه .. فرعاه وارتضاه ولدا وسماه « عابد » .. وسعى بعد ذلك الى الزواج بامرأة ترعاه وتدبر له شئونه .

وتجاوز الصغير عابد أزمته الأولى حين رفض الذهاب الى معلمه الشيخ بعد أن عايره الأطفال بأمه التى وصفوها بالزانية . واستل والده الغضب منه وتعهده بالرعاية وحذره من شياطين الانس وطالبه بالصبر والصلاة ..

وعالجت الرواية مواقف متعددة برزت فيها قوة عابد البدنية وصلابته وشدة حرصه على مواجهة الظلم واستعادة حقوق

المستضعفين من الظلمة الطغاة .. ولقد واجه الطاغية ابراهيم الزهيرى وطالبه برد ما اغتصبه من أرض الشيخ مسعود وداره .

لقد وقف عابد فى طرف المعادلة الحق والعدل فى حين وقف الزهيرى فى الطرف الآخر السلطان والظلم .. ان حقول الدلالة التى تصاحب مع لفظ الحق/العدل ، ترسخ قيما فى الجمال والحرية والسكينة كما أن كلمة السلطان يتداعى معها ــ غالبا ــ القهر والقمع والتوحش ــ انها ثنائية أبدية تعددت صياغاتها توقا الى توصيف العلاقة بين طرفى المعادلة وتجاوز حدتها وتطرفها ..

فى مواجهة حادة بينهما قال الزهيرى : « انى أملك الأرض ومن عليها .. ما أشاء يكون وما أريده رهن اشـــــارتى » . ان العبارة تكشف عن السلوك المتوحش الذى يتسم به الزهيرى .. ووصل الغباء العقلى عنده أن تصبح مشيئته فوق كل مشيئة ومن ثم يتعالى بالموقف الى حد الخوض فيما لا يجب أن يخاض فيه .. لكن متى كان الطاغية داعيا بالفعل والقول معا . ولم يكن عجيبا أن يقيمه الشيخ تقبيما جيدا وساخرا حين قال له : « ويحك يا بن الزهيرى وهبك الله الأرض والمال والسلطان وسلبك العقل » .. أما عابد فقد ابان عن موقفه وكان رده واضحا وحاسما : « انك لا تملك لنفسك شيئا وما تشاء الا أن يشاء الله .. وقد قلت لك .. ان العدل والرحمة فوق القوة » .. وحاول الزهيرى احتواء عابد ، وأدرك عابد مقصده ووضح له كثرة المخازى التى يرتكبها ابناؤه ضد البسطاء والضعفاء فهم يبطشون بقوة وبلا رحمة .. لقد أعلنها واضحة .. الرحمة فوق القوة .. انها مقولة تقليدية أسس عليها الكاتب نصه القصصى ..

وعمل عابد مع الزهيرى .. والزهيرى عندما شعر بادبار الشباب جاء بعروس شابة فاتنة فزوجاته السابقات لم يعدن يثرن

وجدانه . وهذه الزوجة الشابة (جهاد) هى نفسها التى كانت وراء رحيل عابد وهروبه من البلد .. لقد وقعت متأثرة بصورة عابد ، صوته وسمته ، وصيته ، ورائحته العبقة التى تملأ الأثير على حد تعبيرها وتغطى على روائح الياســـمين . حاولت أن تستميله . ولم تعدم الأنثى وسيله .

لقد كان تأثيره عليها بالغا « تسارعت أنفاسها وقد وضعت كفها على فيها كأنما تحبس آهة تكاد تفلت منها .. وتملكت نظرته العابرة من فؤادها واستقرت فى قلبها لا تبرحه » .

وقررت جهـــاد الرحيل الى زيارة الأهل وطلبت أن يكون « عابد » قائد القافلة .

وأدرك عابد أن فى الأمر سرا ، وأفضى الى الشيخ بمخاوفه وربت الشيخ على كتفه قائلا : هذا قدرك يا ولدى » الله يبتليك بقوتك وجمالك » ..

ولعل التعبير يستدعى افادة تراثية تتصل بشكل ما ببعض الانبياء ..

ويدفع الكاتب بالحدث الى منحى جديد يعطى له بعدا مؤثرا اذ يرفض عابد اغراء جهاد . « تموج صدرها وهى تميل بجذعها الى الأمام وومضت عيناها كعين قطة » . وتفجر الغضب بداخله وصفعها بقوة وفى ارتطامها كان موتها . وهب الزهيرى طالبا بالثأر مدعيا أن عابد اغتصب زوجته ثم قتلها .

رحل عابد الى الوادى الشـــرقى مطـــاردا من الشـــرطة والزهايرة معا .. وهناك قابل الشيخ فخر الدين .. وأمنه الشيخ وأسماه نور الدين أيوب ، وتزوج من احدى ابنتيه واستقر مقامه

فى المكان ، وبدأ يؤم الناس فى الصلاة وتحمل مسئولية عمله هذا باقتدار وحب . وحين تناهى الخبر الى الزهيرى علق ساخرا : « تخفى فى زى الشيوخ » . ورصد جماعة الزهيرى البيت واشعلوا فيه النار . ومات الشيخ والزوجة والابن .. وبقى وحيدا محزونا . وكان للحادثة أثرها على قلوب الناس . وخشى امام البلدة أن يجنح عابد الى الاساءة وأن يأخذه الغضب الى التنكيل بالآخرين ، وهو الذى هياه الى أن يفعل الخير ويحقق العدل ويبتعد عن الظلم ..

(قال الامام : انهم شهداء ياولدى .

ـــ احرقوا الزوجة والابن

عاد الامام يقول فى ايمان عميق :

ـــ هم شهداء ياولدى ..

قال عابد ـــ وعلى الثأر يامولاى) .

والحوار يضيف بعدا جديدا الى الشخصية المحورية ، انه بعد الرعاية والتربية وحسن الصياغة التى قام بها مؤدبوه وشيوخه .. انهم يعدونه لأن يكون مخلصا ، والمخلص يجب أن يتعالى على الذات من أجل المجموع . وأن ينبذ هواجس النفس فى سبيل اعلاء القيمة وترسيخ الحق . ومن ثم حرص الامام أن يذكره بالعدل والبعد عن الغضب (أموقن أنك ستقيم العدل ؟ الن تطغى قوتك على الحق فتزهق أرواحا بريئة) .

وبدات رحلة المطاردة والصراع من جديد لقد علم ان الزهيرى رحل الى القاهرة خوفا من ثأر عابد .. وهاهو يرحل الى القاهرة ويستقر فيها .. آملا أن يعثر على ضالته . انه الآن المطارد (بكسر الراء) .

وفى القاهرة صوربت الرواية عالم « الفتونة » .. وهو عالم متاثر بما قدمه نجيب محفوظ فى هذا المجال . كان الحى الذى قدم اليه واقعا تحت سيطرة المعلم فاروق الصياد .. ولقد وصل الى « الفتونة » بعد صـــــراع طويل .. وفى هذا الجو تتنوع التوجهات وتتشابك الأمزجة وتتسيد القوة وحسن المبادرة . ومع ذلك فهو لا يفتقد العقل الواعى والحكمة الصائبة . لقد اختار الصياد الكبير عثمان فضالى خليفة له فى المعلمة .. وبادر عثمان (بتحويل الدار الكبيرة التى شيدها برهان الى مأوى وسكن لطلاب العلم للدراسة بالأزهر) . ولكن فاروق الصياد يعترض ويحرق هو وأعوانه تكية عثمان ويقتله ، وينصب من نفسه خليفة (وجرت أعمال البطش والتنكيل بأعوان فضالى ، حتى دانت له السيطرة ، وأخضع الحى لسطوته) .

ولقد استقبلت هذه الدار المحترقة « عابد » . وكان المكان شاهدا على الحريق الذى أصابه . (وشد ما ادهشه تلك الدار الزجبة بغرفها المتعددة ، وقاعاتها) .

والتقى بالمعلم فاروق وأخذ منه الاذن بالاقامة . وبدأ عابد يقوم برحلات استكشافية للتعرف على الأحياء . وتزوج من زبيدة الفتاة الجميلة التى أثرت فيه منذ أن أطلت عليه بوجهها الصبوح وعينيها « الدعاجاوين » (وسهر الحى حتى الصباح ابتهاجا بزفاف زبيدة من عابد بن عبد السلام) .

ولم يسلم عابد من مكائد الزهيرى ، فلقد اتصـــــل بفتوة السبتية وألبه عليه وأثار فيه الرغبة فى المنازلة وتقديم الولاء ، كما أنه على دراسة بما حدث له . والتقى عابد « بالفتوة » . وتم العراك . واجتاحه الغضب (وانفجر بركان الغضب المدمر يكتسح

كل شىء امامه . وراح النبوت يطيح بكل ما يلقاه فى طريقه) .
والحق بدار الزهيرى الخراب ومارس قوته بعنف وبلا رحمة .

ولقد ادركت زوجته بهاجس خفى أنها مقدمة على تحولات قد لا تكون فى صالحها فهى تفهم قانون « الفتونة » وما يئول الى المعلم الجديد من ميراث القديم .. ومن ثم عكس الحوار ما يعتمل فى داخلها وما تخشى منه ، ومالا تود أن تراه من عابد .

— (عهدى بك لا تتعرض للنساء .

غشيه حزن قاتم وهو يتمتم

— أعمانى الغضب

قالت فى صراحة مؤلمة .

— بل أعمتك قوتك) .

ويذكرنا بالحوار بما دار بين الامام وبين عابد حين رأى فيه غضبة شرسة ورغبة جامحة فى الانتقام والثأر . وأكد الامام له خوفه من أن يلحق الأذى بمن لا يستحق (أخشى أن تأخذ بريئا بما اقترفه الغير) وهتف الامام محذرا من تلك القوة الغاشمة ، ذلك لأن القوة أن لم تتحصن بالحكمة تصبح آلة للبطش وللقمع ومن ثم يتساوى الفعل مع أساليب الطغاة فى الحكم وقمع الناس .

« أتريد أن تكون جباراً فى الأرض » .

والقوة هى مفتاح الذات وآلتها نحو تحقيق العدل ..

ولم يكن غريبا على السياق الروائى أن يتجلى له شبح يخبره انه رسول من الامام وانه يقرئه السلام .. واحتار فى الأمر وخشى ان يغضب منه الامام ويتصور انه نسى العهد والميثاق وأن القوة الغاشمة أخذت منه الحكمة والموعظة الحسنة ..

والتقت القوة بالحكمة فى حوار يتسم بالدهشة والتساؤل .

ــ (الامام يطالبنى بالعهد !

همس الشيخ كمن يحدث نفسه

ــ الامام يحلم بالخلفاء !

تساءل عابد :

ــ السنا أولى بالخلافة

أجاب الشيخ رفاعى

ــ أمانة لا يقوى عليها هذا الزمان الردىء)

هذا الجدل قائم حول تحقيق المثال وارتباطه بالزمان .. وهو نوع من التصـــــور يهدف الى اقامة مجتمع دينى يتماثل مع بداية تأسيس المجتمع الاسلامى .. ومن ثم يظل التصور حلما يداعب الذاكرة بتداعياتها ، لأن الزمان ردىء ، وتيارات التحديث حفرت أخاديد فى مساحة الفكر تستدعى آلية جديدة للمواءمة بين الحلم وتصور تحقيقه ..

وكان لابد ــ من تحقيق هذا الحلم من وجهة نظره ــ أن يواجه الطغيان ممثلا فى فاروق الصياد . لقد اعترض الصياد على عابد ارتياده للمساجد ولقاءاته بالناس فى الزاوية والتكية وحديثه عن الحق والعدل . ولم يقو عابد على سماع حديث الرجل وهو يدعى الولاية على الجميع دنيا وسلوكا وحياة .. (ولايتى عليهم حتى فى أحضان نسائهم) .

ويلتحم العملاقان فى صراع دموى ويسقط الصياد « على الأرض مهشــــما بلا حراك » . وتوافد البشـــر لتقديم فروض الطـــاعة .

فى هذا الموقف يحدد عابد توجهه ، وتحدد الرواية فى تعبير مباشرة ـــ لا يساعد عليه السياق ـــ الفكر الدينى الذى يسعى اليه الرجل وكأنما يحقق الحلم بالزمان القديم ، وجاءت الصياغة ذات طابع تراثى فى التركيب والدلالة .

(طلب الاجتماع بهم فى الجامع الكبير وعقب الصلاة رقى المنبر وقال :

جئتمونى طائعين ، خير من أن آتيكم غازيا .. وان لم تأتونى أعزة لجئت بكم أذلة) .

لقد رفض الفتونة وأكد أنه سيف الاســـلام .. ولكنه فى الحقيقة لم يتخلص بعد من فتنة القوة وما يصاحبها من غضب ، وقمع ، وظلم . وكان التعبير واشيا بذلك حين أكد على الغزو ، والذلة فهما مظهران للقوة الغاشمة ، ولم يخفف من قسوة الدلالة الحديث عن سيف الاسلام خاصة وأنه كذات لم تكن خالصة فى التوجه الدينى ، ولم تبحر فى هذا العالم بما يجعلها قدوة ومثالا يحتذى فى المجاهدة ، والموعظة الحسنة ..

وأثار الرجل حقد الرجال .. وشعروا بأنه يمثل خطرا عليهم، فالأولاد يتمثلون به والنساء يحلمن به ولا مفر من التخلص منه ، وكان الزهيرى وراء هذه المؤامرة ، ونجحوا فى التخلص منه .. وانتهت الرواية بما بدأت به .. اشارة الى الغرائب المدهشة ، فالبعض يؤكد أنه رأى « عابد » مع أنه مات ودفن من زمن ..

وسيطرت فكرة تواجده على المخيلة الشعبية حتى زاحمت الوجدان .. ورفد هذا المعنى مفردات لها طابع الادهاش مثـــل العثور على شيخ الحارة الذى ساهم فى المؤامرة مشـــنوقا فى

غرفته ، وجنون الزهيرى الذى أسلمه الى النيل غرقا . بل أكد الشيخ نفسه هذا الهاجس حين اعترضه بعد صلاة الفجر .. (هتف الشيخ من أعماقه غير مصدق : — أنت ! هل عدت حقا) .

— ٣ —

تميزت الرواية بنقلاتها السريعة فى الأحداث . وخلقت تلك الحركة الســـــريعة جوا مليئا بالحيوية ، وحققت قدرا كبيرا من اختزال التفاصيل ، ووضعت القارىء فى مسار الحدث ومفرداته . كما حرصت الرواية على ربط الحدث بالشـــخصية المحورية مما ساهم فى تحول الذات وتطور الحدث ووضع الشخصيات الأخرى فى مركزه . ولعل سببية الحدث الخارجي — فيما يتصل بعابد — والداخلي بالنسبة للشخصيات الأخري وراء درجات التحول .. ومن ثم تتحول الحركة الي نمط آلي يفتقد الوهج والقلق واحتدام الصراع المتوتر ، وتصبح الذات في مثل هذه الحالة كالقطار الذى يسير علي القضبان لا يتخطاها او يحيد عنها .. « وعابد » نموذج لهذه الآلية الجامدة .. مع أن محور العمل كله . انها شخصية جاهزة ، اختزل الكاتب حياتها ، وتخطى فترات التوتر ، وأغلق منطقة الوجدان تماما ، حتى فى مجال « التعبد » كان آليا خاليا من نفاذ البصيرة وجمال الأداء .. لقد رصد الكاتب شخصية من الخارج فبدا للقارىء شخصية زاعقة خالية من الاقناع . ومع ان الكاتب يريد أن يضفى علي عابد صـــــفات الفروسية فيأخذ من الأغنياء ويعطى للفقراء، ويعيد الحق المغتصب الي أهله ، الا أن المواقف القصصية — موقفه من الزهيري مثلا — تفتقد الصــــدق وتشعرنا بافتعال مقصود . وكيف لطاغ عات فرض القمع واغتصب الحق وأذل الرقاب ، كيف يتراخي ويسلم لعابد بكل ما طلبه منه لمجرد أنه شد قبضته واحكم مقود الدابة وبدت قوته واضحة .. أين الوسائل الدفاعية التى يلجأ اليها البشر في مثل هذه المواقف

.. كيف يتخلون عن تاريخهم ووجودهم بهذه البساطة .. ولعل السبب فى ذلك مرجعه الى تلك الهالة التى رسمها الكاتب للبطل وتفرده فى كل موقف ..

ومن ثم فلقد جاءت شخصياته — غالبا — جاهزة وفق انتقائه . ان هذا الطاغى — قبل أن تتعقد الأحداث — لم نعرف له موقفا قصصيا واحدا طغى فيه اللهم الا كلاما مرسلا عن اغتصاب الحقوق وذلك يؤثر على القارىء سلبا وهو لم يحس بموقف واحد يتسم بالقمع الا فى بعض مواقف الفصل الثانى الذى يتناول عالم « الفتونة » .

ولعل الشخصيات النسائية — جهاد — زبيدة — زوجة الصياد تتصف بالحركة الداخلية التى تضفى عمقا للذات وتكشف عن الوجدان المحرك والفاعل ، وتعرى سرائر النفوس .. انها ذوات تحمل صراعها معها ..

لقد أحبت جهاد « عابد » المتمنع واحتالت عليه ، وانقادت وراء الشكل الخارجى الضخامة/القوة . (جلست جهاد ترمق العملاق الماثل أمامها شاخصا ببصره الى لا شىء . أحست بغريزة الأنثى أنه يتحاشى النظر الى عينيها ، راحت تجول بناظريها فى قسمات وجهه فى انتشاء وتلذذ) .. وحين أحبت سعت الى اللقاء به ، وفرضت مطلبها على زوجها الزهيرى ، وماتت به ، وكان موتها بمثابة بؤرة الحدث المركزية ، وسببا فى الرحيل والمطاردة .

ومع أن الكاتب حريص على المثالية والفروسية بالنسبة للبطل الا أن الرواية غافلته بحكم سطوة المنطق الفنى وأظهرت نقطة ضعف وحيدة مرت به . وفجرتها زوجة الصياد .. وأحدثت بذلك توترا وجدانيا صاحب زوجته زبيدة .. وذلك الضعف البشرى

تجاه الجمال أمر فطرى حين جاءته بعد وفاة زوجها المعلم الصياد رأى فيها جمالا نادرا فهتف قلبه سبحان الله و (أشاح بوجهه بعيدا وهو ينفض عنه الضعف المفاجىء الذى تسلل الى قلبه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم) .. لقد أقلقه أن يتأثر بالجمال ، وشغله أن ينظر اليها جميلة فى بهائها ، فاستعاذ بالله ، وهو نفسه — وتلك مفارقة فى السلوك — كان يقابل زبيدة فى الميدان قبل أن يتزوجها، ربما كانت — وهى المحبة — تسعى الى ذلك سعيا الا أنهما تقابلا .. ثم تزوجا ..

ولقد جرى الكاتب وراء عبارات تراثية أفاد منها وجدل من دلالتها معنى غريبا عن السياق . وهذا الولع البلاغى والتراثى وراء المعنى المباشـــــر الذى لا يتحمله النص فعبارته التى قالها للرجال الذين قدموا لتقديم فروض الولاء (جئتمونى طائعين ، خبر من أن آتيكم غازيا ..) تشى بالقصد الفكرى عند الكاتب ، وهو قصد مقحم على متن الرواية . فلا القوم كفار ، ولا عابد مخول له هذا الفعل ولا الأداء اللغوى التراثى يقنعنا بالدلالة . لقد جاء التعبير تراثيا مفارقا لطبيعة الفن القولى الروائى ..

ويتشابه هذا الموقف مع موقف الزهيرى حين قدم اليه حاملا كفنه على رأسه مسلما بالتبعية له وبالخطأ أيضا .. وهو سلوك شعبى موروث فى البيئات الشعبية وربما لايزال متواجدا بطريقة أو بأخرى فى أطراف الوادى وفى البداوة ..

ولننظر الى الموقف القصصى (صاح الرجال فى حماس :

— ان قتلته فهو ثأرك .

قال عابد وهو يربت على كتف الزهيرى بالسيف

— قم فقد عفوت عنك

قام الرجل غير مصدق ، على حين تعالى الهتاف والتهليل بحياة الامام العادل)

لقد أتى الكاتب بالموقف ليسجل عبارة (الامام العادل) ، وهى كلمة كبيرة على السياق وعلى حركة الرجل نفسها ، فليس فى النص ما يشير الى العدل الحقيقى الذى يشيع بين الناس عبر مواقف وأحداث وشخوص بحيث يعطى لعابد هذا التواجد الروحى المستمر ، ويجعل منه اماما عادلا .. ان مجرد الصفح ، أو التنازل عن حق لا يؤسس لصفة العدل . فقضية العدل فى الفكر الاسلامى قضية محورية ولا تؤخذ بهذا التسطيح ..

لقد « لملم » الكاتب لعابد صفات طوقه بها فأفقده الصدق وحوله الى نمط آلى .

لقد أضفى صفات القوة والضخامة على « عابد » كما وصفه بالجمال (الله يبتليك بقوتك وجمالك) وهما صفتان تحملان الاغراء بالسقوط التراجيدى . ولكنه لم يستفد جيدا من هذا الجانب . كما وضح تأثره فى جانب عام من حياة موسى عليه السلام .. وهو تأثر جيد لاح مستترا ، فموسى عليه السلام قوى وأمين وعفيف ، قتل المصرى وهرب ، واجه الطغيان ، ولجأ الى شعيب وتزوج احدى ابنتيه .. وعابد قوى يبتعد عن الاثم ، واجه الطغيان ، وقتل ، وهرب ، وتزوج احدى ابنتى الشيخ .. تلك الاشارة واجبة لبيان التأثر بالشخصيات الكبرى فى التاريخ ، وان جاء تأثره هامشيا ، مثلما جاء تأثره الواضح بنجيب محفوظ .. فى تصوير عالم الحارات والفتونة . لقد جرى وراء سياق « الحرافيش » فى مقولتها الأساسية وهى امتزاج القوة البشرية بالقوى الاعجازية — ولقد كان الحلم اشارة الى الفعل ، أو الرحيل كما تحكمها أيضا القيم والمثل المتعالية على الزمان والمكان .. و « عابد » فيه هذه السمات ، القوة ، والروحية ، ورؤيته للامام

فى الحلم ، أو كالشبح اشارة بشعل ما .. .. انه يذكرنا بعاشور . عندما رأى الشيخ زيدان فى الحلم ،وحيا اليه بالرحيل ..

هذا التأسى فى البناء يرفده قدرة واضـــحة لدى الكاتب تتمثل فى الحوار .. لقد تسيد الحوار متن العمل الروائى كله .. وبه اختزل الزمان والمواقف . وطور الحدث ، ودفع الشخصيات الى مناطق التحول ، وكشف العمق الوجدانى المستتر . وتميز بالايجاز ، ودل على الشخصية ، واشاع الحركة ، وسرعة التنقل، ولقد نما الحوار فأضفى على العمل كله حيوية (وكلما نما الحوار ، وقوى الحدث كشف ذلك عن حركة تقدمية فى الزمن وكشـــف للشـــخصية) . وهذه القدرة الحوارية أهدرت فى هذا العمـــل الروائى الذى جعـــل الكاتب من بطله نموذجا آليا للفكرة التى يقصـــدها .

ولغة العمل رصينة وقوية ، والتركيب فى الحوار يذكرنا بحواريات النصوص الاخبارية فى التراث العربى القديم .

(همس عابد وقد أغرورقت عيناه

ـــ لك الله يامولاى .. لك الله ـــ الخ) ..

ونادرا ما تطول الجملة الحوارية ، واذا طالت مالت الى المباشرة (ان أعداء الاسلام يتربصون بنا .. الخ) .. كما أن الأخطاء النحوية قليلة ومتكررة خاصة فيما يتصل بتراكيب الاستفهام المنفى ..

وهى أمور ســـيتلافاها الكاتب بحكم أن العمل الذى امامنا يكشف عن موهبة فى النص الروائى وقدرة تعبيرية واضحة ..

الفهـــرس

صدر من هذه السلسلة :

١	ــ شوارع تنام من العاشرة	(قصص)	أحمد محمد حميده
٢	ــ باب الريح	(قصص)	نبيه الصعيدى
٣	ــ حكاية عروسة البحر	(شعر)	حجاج الباى
٤	ــ الدم وشجرة التوت الأحمر	(رواية)	محمد عبد الله عيسى
٥	ــ وقائع موت الجياد	(شعر)	عصام الغازى
٦	ــ الشاطر حسن .. يحيب	(قصص)	عبد المنعم الباز
٧	ــ .. وعائد اليك	(شعر)	المنجي سرحان
٨	ــ مهزلة عائلية	(مسرحية)	جمعة محمد جمعة
٩	ــ قصاصات حب	(قصص)	اسماعيل على
١٠	ــ تاريخ يؤرقه الظمأ	(شعر)	مشهور فواز
١١	ــ بقايا انتظار	(قصص)	عبد الفتاح منصور
١٢	ــ أعدام قيس بن الملوح	(مسرحية)	محمد عبد العزيز شنب
١٣	ــ نقوش الدم	(رواية)	رجب سعد السيد
١٤	ــ تأملات فى وجه ملائكى	(شعر)	عبد الله السيد شرف
١٥	ــ الصعود الى القصر	(قصص)	مصطفى الأسمر
١٦	ــ اغتراب ..	(قصص)	ناجى عبد اللطيف
١٧	ــ والفجر	(قصص)	جمال نجيب التلاوى
١٨	ــ فيضا يكون العشق	(شعر)	عبد المجيد أحمد
١٩	ــ حكاية الديب رماح	(قصص)	خيرى عبد الجواد
٢٠	ــ خديجة بنت الضحى الوسيع	(شعر)	سماح عبد الله
٢١	ــ فارس آخر زمن	(مسرحية)	حسن شلنده
٢٢	ــ شهرزاد	(شعر)	نجوى السيد
٢٣	ــ من ثقب الحزام	(قصص)	محمد هويدى

٢٤ ـ العطش (قصص) فاروق الأفندى

٢٥ ـ الزحمة (شعر) نصر الدين رحمى

٢٦ ـ تداعيات العشق والغربة (شعر) صلاح والى

٢٧ ـ السيف والوردة (شعر) مهدى محمد مصطفى

٢٨ ـ رحيل م٠م (قصص) حسن الجوخ

٢٩ ـ تراب على وجه القمر (قصص) رشدى أحمد معتوق

٣٠ ـ بلغنى أيها الملك (مسرحية) فتحى فضل

٣١ ـ الديك فى السيارة (قصص) محمد السيد سالم

٣٢ ـ أبناء النهر (قصص) على عيد

٣٣ ـ وحتما سيعود (مسرحية) أحمد أبو سديرة

٣٤ ـ بقايا شموع (شعر) محمد فرج

٣٥ ـ بيت آل شحات (مسرحية) جمال فاضل

٣٦ ـ الليلة ٠٠ نحكى (مسرحية) مجدى الجلاد

٣٧ ـ وجه العالم (قصص) سعيد عبد الفتاح

٣٨ ـ فصل من التاريخ الخاص (شعر) حزين عمر

٣٩ ـ النورس (قصص) ابتهال سالم

٤٠ ـ فصول من كتاب الليل (شعر) فؤاد سليمان مغنم

٤١ ـ رجل فى الظل (قصص) عبد الفتاح يونس

٤٢ ـ الجلوس خلف الأبواب (مسرحية) محمد الشربينى

٤٣ ـ التائهون (قصص) كاميليا كمال الدين

٤٤ ـ العيون الملهمة (شعر) محمد محمود عبدالعال

٤٥ ـ قمر بوبا (قصص) ابراهيم فهمى

٤٦ ـ الميلاد وحكايات الخريف (شعر) يس الفيل

٤٧ ـ الرقص فوق البركان (قصص) حسين البلتاجى

٤٨ ـ موسم زرع البنات (شعر) كوثر مصطفى

٤٩ ـ تنويعات على رأس رجل محبط (قصص) عزت عبد الوهاب

٥٠	ـ ازهار برية	(شعر)	عبد الشافى داود
٥١	ـ انتظار	(مسرحية)	محمد فكرى
٥٢	ـ ورقة من بطاقتى	(شعر)	النبوى سلامة
٥٣	ـ ماسار	(مسرحية)	انور جعفر
٥٤	ـ الخيل والليل وزهور البنفسج	(شعر)	محمد هاشم
٥٥	ـ طائر الحب	(قصص)	اسماعيل بكر
٥٦	ـ الخروج واشتعال سوسنة	(شعر)	عبد الناصر هلال
٥٧	ـ العاشقون	(قصص)	نعمات البحيرى
٥٨	ـ طالعين لوش النشيد	(شعر)	طاهر البرنبالى
٥٩	ـ أرجوكم ارحلوا	(قصص)	جمال بركات
٦٠	ـ آخر ما قالته الملكة	(شعر)	طه حسين سالم
٦١	ـ عيون الدهشة والحيرة	(قصص)	محمد عبد الله الهادى
٦٢	ـ نور النار	(شعر)	ابراهيم محمود حمدى
٦٣	ـ عندما جاءت الأمطار	(رواية)	فؤاد حجاج
٦٤	ـ اغنية اولى	(شعر)	عماد غزالى
٦٥	ـ للمدينة وجه آخر	(قصص)	زكريا السيد عبيد
٦٦	ـ خلف جبال الشمال	(شعر)	اسماعيل أبو زيد
٦٧	ـ من يضحك كثيرا	(قصص)	هشام قاسم
٦٨	ـ قلبي واشواق الحصار	(شعر)	عيد عيد صالح
٦٩	ـ يوميات خلود	(قصص)	خالد الصاوى
٧٠	ـ النبوءة	(شعر)	هشام أبو زيد
٧١	ـ قبل الخروج من الطابور	(قصص)	سعد عبد الحميد
٧٢	ـ لبلابة على سطح القمر	(شعر)	مصطفى النحاس أحمد
٧٣	ـ من ديوان العشق	(قصص)	سمير فوزى
٧٤	ـ كائنات فى انتظار البعث	(شعر)	محمد السيد اسماعيل
٧٥	ـ ارخص الدموع	(قصص)	السيد الجندى
٧٦	ـ شوقا اليك	(شعر)	سعد عطيه

٧٧	ـ الولوج فى دائرة التيه	(قصـص)	معصوم مرزوق
٧٨	ـ قدمت للحب استقالة	(شـعر)	ياسر قطـامش
٧٩	ـ الآخرون وأغنية للضحي	(قصـص)	سيد عبد الخالق
٨٠	ـ الدق ع البيبـان	(شـعر)	محمد صابر مرسى
٨١	ـ رائحة الزهور البرية	(شـعر)	صـالح الصـياد
٨٢	ـ مسافـة الحـلم	(مسرحية)	مؤمـن أحمـد
٨٣	ـ فوق شـجرة ما	(قصـص)	ناهد عز العرب
٨٤	ـ عناقيد الشـمس	(قصـص)	رجب الصـاوى
٨٥	ـ مربط الفـرس	(مسرحية)	سـليم كتشنر
٨٦	ـ سندريلا وأحلام سندباد	(شـعر)	محمـد عبـد الرازق زهيرى
٨٧	ـ المصـفقون	(قصـص)	حمدى البطران
٨٨	ـ ندهة من ريحة زمان	(شـعر)	سـمير الفيـل
٨٩	ـ حـلم أطفـال	(قصـص)	خيرى السيد ابراهيم
٩٠	ـ صفحة من كتاب العشق	(شـعر)	محمـد العتر
٩١	ـ صـباح فى المخيم	(شـعر)	سناء محمد فرج
٩٢	ـ حـال من الورد	(قصـص)	عبد الحكم العلامى
٩٣	ـ الأشجار تعرف الحزن	(قصـص)	عبد الحميد الفداوى
٩٤	ـ خروجـا على النص	(روايـة)	فراج عبد العزيز
٩٥	ـ ثقب فى جدار الذاكرة	(قصـص)	أمـين الصـيرفى
٩٦	ـ ٣ الحـان من عيونك	(شـعر)	محمـد الغيطى
٩٧	ـ الحيـاة مرة أخرى	(قصـص)	د٠ بدوى مطـر
٩٨	ـ فى انتظار الشمس	(قصـص)	أحمد محمود مبارك
٩٩	ـ يوميات النبأ العجيب	(قصـص)	سـمير المنزلاوى
١٠٠	ـ ليالى الحب والغربة	(شـعر)	محمـود يونس
١٠١	ـ العبور من ثقب الابرة	(قصـص)	أحمد عبد الله متولى
١٠٢	ـ صياد فى بحر الكلام	(شـعر)	محمـد مكيوى

١٠٣	ـ العمر ٥ دقائق	(قصص)	صلاح معاطى
١٠٤	ـ أحزان البطريق	(قصص)	مجدى البدر
١٠٥	ـ ومن يوقد أعواد الثقاب	(قصص)	وجيه عبد الهادى
١٠٦	ـ الحقيقة والوجه الآخر	(قصص)	مصطفى عبد الشافى
١٠٧	ـ هموم امرأة متمردة	(قصص)	محمد القصبى
١٠٨	ـ الخندق	(مسرحية)	فاروق عطية
١٠٩	ـ العصافير لا تعشق الطيران	(شعر)	محمود خليل
١١٠	ـ فى الصباح نلتقى	(قصص)	ابراهيم عيسى
١١١	ـ جذور متناثرة	(قصص)	سمية عريشة
١١٢	ـ الجسد والحلم	(قصص)	محمد الحمامصى
١١٣	ـ الزفة	(قصص)	محمد شاكر الملط
١١٤	ـ موسيقى لعينيها	(شعر)	سمير درويش
١١٥	ـ حلم كائن بسيط	(قصص)	ربيع عقب الباب
١١٦	ـ ليلة عرس سوداء	(مسرحية)	سعيد حجاج
١١٧	ـ الأرز والبارود والزيتون	(قصص)	فريدة أحمد
١١٨	ـ أصداء حائرة	(شعر)	ياسر محمود يونس
١١٩	ـ عود ثقاب	(قصص)	فريد معوض
١٢٠	ـ الدق على أبواب الآتى	(شعر)	د. عبد الحميد حسن
١٢١	ـ لعبة التشابه	(قصص)	منار فتح الباب
١٢٢	ـ اعترافات عاشقة قروية	(شعر)	بهية طلب
١٢٣	ـ النذير	(قصص)	بدر عبد العظيم
١٢٤	ـ أيام فى حضن الليل	(شعر)	حورية البدرى

١٢٥ ـ تداعيات زمن السقوط	(قصص)	محمد وهبة
١٢٦ ـ الجبل الشرقى وكفر الهلالى	(رواية)	شحاتة عزيز
١٢٧ ـ عندما انهارت أواريس	(مسرحية)	نسيم ابراهيم يوسف
١٢٨ ـ عينى عليك يا بلد	(شعر)	ثريا مصطفى
١٢٩ ـ قلوب فى العاصفة	(رواية)	عبدالحميد خليف يونس
١٣٠ ـ الذباب لا يلفظ عصافير	(قصص)	بهاء السيد
١٣١ ـ عروس الأرض	(شعر)	عزت محمد جاد
١٣٢ ـ الرحيل عن مدن الهزائم	(قصص)	خالد محمد غازى
١٣٣ ـ قدر من العشق	(قصص)	عفاف السيد
١٣٤ ـ الحويطى	(رواية)	فؤاد نصر الدين
١٣٥ ـ المتواليات	(شعر)	علاء الدين رمضان
١٣٦ ـ قيود الأحلام	(قصص)	سلوى الحمامصى
١٣٧ ـ أهل البيت	(قصص)	محمد القاضى
١٣٨ ـ مد وجزر	(قصص)	حسين أبو زينة
١٣٩ ـ حين تميل الجدران	(قصص)	محمد عباس على
١٤٠ ـ مراكب خوف	(شعر)	أحمد الخولى
١٤١ ـ النزلاية	(مسرحية)	حجاج حسن أدول
١٤٢ ـ العزف على أوتار الغربة	(شعر)	سلامة الطويل
١٤٣ ـ طيور بلا وطن	(قصص)	مجدى عبد النبى
١٤٤ ـ المسافات من عينيك تبدأ	(شعر)	عبد الرحمن عبد المولى

١٤٥ ـ البنت والشايب	(مسرحية) محمد عبد الله
١٤٦ ـ ارض المراغة	(رواية) محمد هلال
١٤٧ ـ المطاردة	(قصص) اسماعيل بهاء الدين
١٤٨ ـ تقاسيم على الربابة	(شعر) عبد الستار سليم
١٤٩ ـ كلام على كلام	(قصص) ابراهيم قنديل
١٥٠ ـ جنون المال	(مسرحية) صبرى عسس
١٥١ ـ سحابة صيف	(قصص) فرج حكيم
١٥٢ ـ لم الشمل	(مسرحية) محيى عبد الحى
١٥٣ ـ المصيدة	(قصص) سيد نجم
١٥٤ ـ رجل للبيع	(قصص) محمود عزت موسى
١٥٥ ـ قطار الظهيرة	(قصص) سمير يوسف حكيم
١٥٦ ـ الندم	(مسرحية) عباس أحمد
١٥٧ ـ عودى الى	(شعر) أحمد حمدى
١٥٨ ـ الجدار السابع	(قصص) أحمد محمد عبده
١٥٩ ـ على جدار الزمن	(قصص) عبد المنعم صبحى
١٦٠ ـ كوابيس	(مسرحية) ابراهيم هلال العساسى
١٦١ ـ امنية للعالم	(شعر) أحمد محمد النقيب
١٦٢ ـ وشاعرة	(شعر) نجوى عمر
١٦٣ ـ اللعب فى الحلقة	(قصص) عبد الفتاح عبدالرحمن
١٦٤ ـ اشاعة	(مسرحية) السيد حافظ
١٦٥ ـ عندما يكتمل القمر	(قصص) طه محمود مقلد
١٦٦ ـ على الربابة	(شعر) أحمد عبد القادر
١٦٧ ـ تائهان	(قصص) أحمد دسوقى
١٦٨ ـ نبض الحرف الدافى	(شعر) سلامه عيسى

١٦٩ ـ الحصى والرصاص (مسرحية) محمد أحمد اسماعيل
١٧٠ ـ ناعسة تفقد صبرها (قصص) محمد متولى
١٧١ ـ لعبة الحنان (شعر) أحمد فراج
١٧٢ ـ أخناتون والكهنة (مسرحية) محمود القلينى
١٧٣ ـ لعبة الصمت (قصص) ايهاب فاروق حسنى
١٧٤ ـ رباعية النورس (شعر) حسن حامد
١٧٥ ـ تنهيدة صبية (شعر) ايمان أحمد يوسف
١٧٦ ـ الانتصار العظيم (رواية) محمود صبرى الشامي
١٧٧ ـ محاكمة علاء الدين (م٠شعرية) صفوت محمد سليمان
١٧٨ ـ الحلم فى زمن السيل (قصص) الشحات سند محجوب
١٧٩ ـ حواديت عرافة (قصص) رشا سمير حسنى
١٨٠ ـ عرس كليب (دراماشعبية) درويش الأسيوطى
١٨١ ـ ظلال الرؤى (شعر) عبد الرحيم الماسخ
١٨٢ ـ عناقيد الورق (شعر) محمد الشحات محمد
١٨٣ ـ طرقات‌فوق أبواب الزمن (قصص) عبد الحميد عيسى
١٨٤ ـ مقام الخوف (قصص) عزة بدير
١٨٥ ـ لا اسميك (شعر) أمل جمال
١٨٦ ـ رحلة خارج الأفق (شعر) أحمد عبد الحفيظ
١٨٧ ـ أغالب فيك انهزامي (قصص) أحمد مرزوق
١٨٨ ـ اعترافات الفتى عزيز (قصص) محمد الحسن ولد المصطفى
١٨٩ ـ اجراس الصمت (قصص) د٠ جابر عبد العزيز
١٩٠ ـ انكفاءة مزمار (قصص) أوفى عبد الله الأنور
١٩١ ـ مواسم الأوز والدخان (شعر) مصطفى فتحى
١٩٢ ـ سحابة بيضاء (قصص) محمد عبد الرحمن المر
١٩٣ ـ مذبحة الورد (شعر) عادل البطوسى
١٩٤ ـ فى الضوء تستبين الأشياء (قصص) عدنان شيخ الأرض
١٩٥ ـ قناديل (شعر) طاهر سعيد محمد

١٩٦ ـ نقوش آدميـة (شـعر) ناجي شـعيب

١٩٧ ـ سيرة الامام عابد بن عبد السلام (روايـة) صفوت عوض

العـدد القـادم

١٩٨ ـ ثنائية الموت واليمام (شـعر) محمـد عبد الوهـاب السعيد

رقم الايداع ١٩٩٥/٨٠١٥

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 4512 — 2

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

إشراقات أدبية
تصدر نصف شهرية

هذا هو العدد السابع والتسعون بعد المائة من سلسلة إشراقات أدبية، تواصل به السلسلة تأكيد علاقتها مع القارئ العربى فى كل مكان.

العدد يضم رواية «سيرة الإمام عابد بن عبدالسلام» كتبها صفوت عوض الذى يحاول أن يثير فينا الشعور بالحس الأسطورى، فمع أن الأحداث ووقائع الرواية ذات بعد واقعى إلا أن الرواية سعت إلى امتزاج الواقع بظلال أسطورية عبر تحريك الخيال الشعبى، واتخذ الكاتب سمت «الراوى» المنفصل عن وقائع النص فأصبح للعمل شكله البنائى الخاص به ولغته ذات الطابع التراثى لتتلاءم مع وجهة النظر التى ارتضاها والتوجه الدلالى الذى يقصد إليه قصدا ...

٣٥ قرشـــا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب